www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار ، أنشئت ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوًى « وصارا » كمنار الطريق

٣٠ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ ٢ برج الحمل سنة ١٣٠٧ هـ ش ٢٢ مارس سنة ١٩٢٨

فاتحة المجلد التاسع والعشرين من المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الاعظم الاجل ، والثناء الاكبر الاكمل ، لربنا ذي العظمة والجلال ، والكبرياء والكمال ، مقدر الآجال ، للافراد والاجيال ، ومقلب القلوب ومحول الاحوال ، على ممر السنين والاحوال . والتسبيح الارفع الاسمى ، لاسم ربنا الاعلى ، الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى * الله لا إله الا هو له الأسماء الحسنى * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال *

خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ، وأقام بين عباده ميزان الحكم بالعدل ، وحكمه في كل من التكوين والتشريع هو الفصل ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال *

والصلاة الالهية النورانية ، وتحية السلام الربانية الرحمانية ، على خاتم دولة النبيين ، ولبنة الزاوية الذي أكمل الله به بناء الدين ، وأتم نعمة هداية الوحي على المؤمنين ، محمد بن عبد الله العربي الأمي الملقب من قومه بالأمين ، المرسل من ربه رحمة للعالمين ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار ، ومن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اقتفى آثارهم من المقربين والابرار ، واجعلنا اللهم من هؤلاء المصطفين الاخيار، الذين يذكرونك ذكرا كثيراً ويسبحون بحمدك بالغدو والآصال

أما بعد فان المنار يذكر قراءه في فاتحة مجلده التاسع والعشرين، بمثل ماعهدوا منه في غابر السنين ، من العظات والمثلات العامة والخاصة بالمسلمين، وما هم عرضة له من صلاح وفساد ، وما يحتاجون اليه من إصلاح وإرشاد ، وماله من هذا شأن فيه ، وذكرى في نواحيه . وما أريد أن أذكرهم به اليوم أجل مما سبق من أمثاله خطرا، وأوسع فجاجا وسبلا، وأدق علما وعملا ، على انه عين ماذكرتهم به من قبل في جملته، وإنما هو أجل منه شأنا وأبعد شأوا في تفصيله مع ضيق وقته.

كان سير الأمم والشعوب فيما سبق وئيدا ، كالاباعر يحملن جندلا أو حديدا، ثم صار يسير بسرعة البخار ، فيما يجر من المركبات في البر والجراري المنشآت في البحار، ثم صار يطير في الهواء ، ويسير سفنه في جو السماء ، ثم ان الانسان العالم العامل فسر لنا كيف سخر الله له ما في السموات وما في الأرض باستخدام الكهرباء لمنافعه ، وتصرفه بنورها وقوتها النافذين في الكائنات كلها لمصالحه، وهذا ما أشرنا اليه في الصفحة الاولى من الصحيفة الأولى من المنار منذ إحدى وثلاثين سنة هجرية

كان أكثر ما وصفنا به أعمال الانسان المستيقظ يومئذ حقائق واقعة ، وأقلها تصورات متوهمة ، وقد وقع ما كان متوقعا ، وتجاوز كل ما كان متصوراً، وعدا كل ما كان مقدرا ، وأغربها المناطيد والطيارات ، وتقريب المسافات ونطق الجمادات، وتراسل أهل الامصار البعيدة بالصور والمخطوطات ، كتناجيهم بالاصوات ، واسماعهم للخطباء والعازفين والمسمعات (المغنيات) فمن هو في العالم القديم، قد صار بمرأى ومسمع ممن في العالم الجديد . بل ظهر من أسرار الله في هذه الكهرباء ما صار به كل ما كان يستغرب من أخبار الوحي عن عالم الغيب غير غريب ، وكل ما كنا وصفنا من سرعة سير الانسان في أطوار الحضارة بطيئا غير سريع ، بل كشف من عجائب سنن الله في الكهرباء مالم يكن يخطر على قلب بشر ، وهو كل يوم في ازدياد، والناس من عجائب صنع الله في شأن، يتنقلون بها من طور الى طور، يتوقلون في نجد ويهبطون إلى غور، وقد عمت مصنوعاتها الخافقين ، فهي مبصرة بالعينين ، مسموعة بالاذنين ، ملموسة باليدين موطوءة بالرجلين ،

لكن كل هذه العلوم الزاخرة ، والفنون الساحرة ، والصناعات التي لو خفيت أسبابها لعدت من السحر أو المعجزات ، لم تزد المستمتعين بها إلا افسادا في الاخلاق،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكفراً بنعم الخلاق، باستعمالها وسائل للحرب والنزال، وأسلحة للعدوان والصيال، وآلات لتخريب ما لغيرهم من عمران، وتدمير ما لهم من بنيان، أو يكرن لهم ملكاً وأهله من العبدان، فماذا يجب على المسلمين أن ينتفعوا به من تلك العلوم، وماذا يجب عليهم من اتقاء ضررها؟

طغى الغرب على الشرق بقواه العلمية والآلية يستغله ويستذله، ثم دفع دوله التنازع على غنائمه والسيادة على أهله إلى طغيان بعضهم على بعض في حروب صغيرة وكبيرة، حتى جاءت الطامة الكبرى، وحرب المدنية العظمى فخربوا بيوتهم بأيديهم، وأحرقوا ثمرات كسبهم بنارهم، وأضاعوا فيها من رجالهم العاملين زهاء عشرين ألف ألف نسمة بين قتيل ومشوه، من أقطع وأبتر وأجذم، دع عدد المسلولين من مخابىء الخنادق والسراديب الشديدة الرطوبة على جوعهم، وفقدهم الثياب الكافية لتدفئتهم، وأكثرهم كلٌّ على أهله وحكومته، ولعل جملة خسائرهم في أربع سنين تربي على ما ربحوه كلهم من الشرق في مائة سنة أو أكثر

فان كانوا كسبوا بهذه الحرب توسعا في العلوم والفنون والصناعات، فقد أعقبتهم فساداً على فسادهم، وزادتهم رجسا إلى رجسهم، فهم يستعدون في الباطن لحرب أشر منها وأضر، وأدهى وأمر، من حيث يسعون في الظاهر إلى عقد المحالفات، لتحديد صنع الاسلحة وتقليل إنشاء الاساطيل والطيارات، وما كانت عهودهم إلا دَخَلا بينهم أن تكون أمة هي أربى من أمة. فكل دولة من دولهم تمكر بالأخرى وتكيد لها، بل هم يكيدون لشعوبهم ويمكرون بها، أعني أن كل حكومة تمكر بشعبها نفسه وتخدعه ليواتيها ويؤيد سياستها الحربية ويقرر لها نوابه المال الذي تطلبه لها، وقد أحدثت الحرب الاخيرة في قلوب هذه الشعوب مقتا للحرب ورعبا مما عرفوا من أهوالها، ضاعف ما في الغرائز من كراهتها، فاذا جاءت الحرب التالية، كانت هي القاضية، ولن يستطيع أعداء البشر من وزراء دول الاستعمار أن يتصرفوا في أموال شعوبهم وأنفسها بكيدهم تصرف سفهاء الوارثين، وخونة القوامين على اليتامى والمجانين، ولا أن يسوقوا مئات الالوف بل الملايين من شبان مستعمراتهم الى جحيم الحرب، كما تساق الغنم الى مجازر الذبح، ولا أن يستحوذوا على ذهبها وفضتها وغلالها ومواشيها وجمالها وخيلها وبغالها وحميرها فينتزعوها بالقوة القاهرة، كما فعلوا في الحرب السابقة، وان صادفوا من رجال حكوماتها المحلية، من يسخرونهم لذلك كما سخروا الحكومة المصرية، فكيف اذا لم يجدوا حكومة وطنية قابلة لمثل ذلك التسخير، الذي لا يرضى به إلا الحمير؟ فلا ييأس مسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا شرقي من تحرير أمته من رق أوربة فان الفرصة ستسنح عن قريب والويل يومئذ للغافلين والمتخاذلين بل الويل الاكبر للشعب الذي يفرق شمله ملاحدة المجددين فهم الخطر الاكبر على المسلمين وسائر الشرقيين.

ازدادت أوربة بعد الحرب علما وصناعة ، وكذلك ازدادت جشعا في الاستعمار ، وطمعا في الدرهم والدينار ، وضراوة في سفك الدماء ، وتفننا في المكر والدهاء ، وصراحة في نقض العهود ، وإخلاف الوعود ، كما فعلوا في البلاد العربية ، التي ضمنوا لها الاستقلال والحرية ، ثم تجاوزوا بالعدوان عليها ما كانوا قرروه سراً من اقتسام ذات الثروة الغزيرة منها: تجاوزوا العراق وسورية الساحلية الى الصحراء العربية ، بل إلى البلاد المقدسة الحجازية ، فاقتسموا سكة الحديد الممتدة من سورية وفلسطين إلى المدينة المنورة وهي وقف اسلامي على الحرمين الشريفين ، ثم انتزع الانكليز منطقة العقبة ومعان التابعة لمدينة الرسول (ص) وأنشؤا يقيمون فيها التكنات العسكرية ، والمعاقل الحربية ، وسيمدون فيها سكة حديدية تصل ما بين العقبة والبصرة ، أو ما بين ساحل الحجاز من البحر الاحمر وشط العرب ، وحينئذ يكون أداء فريضة الحج تحت ظلة سلطانهم وذلة صلبانهم من كل بر وبحر ، ويكون الحرم النبوي تحت رحمة طياراتهم وجنودهم في كل وقت. كل هذا فعلوه بمساعدة الشريفين المكيين الهاشميين الحسنيين الأميرين الملكين ملك الحجاز بزعمه في ذلك الوقت الشريف علي ، وأمير شرق الاردن البريطاني الى يومنا هذا الشريف عبدالله ، فاذا سكت العرب على هذا العدوان جهلا فلماذا يسكت سائر المسلمين ، والحجاز قبلة ومنسك للجميع ؟ وماذا يخافون والله يقول (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ؟

سارع الانكليز وحلفاؤهم بعد الحرب الى استعباد ما لم يكونوا قد استعبدوه من الشرق وجعله كله من غنائمها المحللة لهم ، وظنوا أنهم قد ملكوا القسطنطينية العظمى وبحر مرمرة والبحر الاسود والقسمين الجنوبي والشرقي من البحر المتوسط وبلاد العرب من مصر والبحر الاحمر إلى شط العرب وبلاد ايران ، وأن قد اتصلت مصر بالهند وستتصل بمدينة الرأس. ولكن ماذا كان ؟ : استبسل لهم الترك استبسال المستيئس فطردوهم من الآستانة وما حولها ، وتتمر لهم الفرس تتمر المستهتر المستقتل فأحبطوا أملهم في ايران وضربوا بقصاصة معاهدة كرزون عرض الحائط وأعلنوا الاستقلال المطلق وإلغاء الامتيازات الأجنبية فتم لهم ما يريدون ، وقامت في وجوههم ثورة مصر العزلاء فاضطرتهم الى الغاء الحماية والاعتراف لمصر بالاستقلال والسيادة القومية ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكنهم قيدوا هذا الاعتراف بتحفظات ، لا تزال مثار النزاع والمفاوضات

وقامت على ادارهم الهندية في العراق الثورة المسلحة فألجأتهم إلى تأليف حكومة عراقية ملكية ، لكنهم جعلوا فيصل بن حسين أخلص صنائعهم لهم ملكا عليها ، يحقق لهم بالسلم والاقتصاد كل ما يريدون منها، وسوف يخيب بتوفيق الله أملهم فيها

وأذنهم بالحرب أمان الله خان أمير الافغان فاضطروا للاعتراف له بالاستقلال المطلق التام وكانت بلاده تحت حمايتهم المذلة ، فأصبحت عزيزة مستقله . وكان ما كان من أمر ثورة الصين عداوة لهم ونبذاً لسيطرة امتيازاتهم واستعمارهم، فحاولوا تأليب أوربة عليهم كما هو المعروف من شنشنتهم، فخذلتها الدول في هذه المرة وما كل مرة تسلم الجرة فعادوا خاسرين وانقلبوا خاسئين .

وثبت الامام يحيى في اليمن على سياسته السلبية معهم فلم يستطيعوا اقناعه بالاعتراف لهم بادنى حق في بلاده، بل لا يزال يطالبهم بالمقاطعات التسع وبعدن نفسها

وانتزع ابن السعود الحرمين الشريفين من صنيعتهم الشريف حسين الذي ولوه عليه ، وكان يعترف لهم بانه موظفهم فيه ، ونقض ما كان اتفاق سنة ١٩١٥ الذي كان ضربا من الحماية، واضطرهم الى الاعتراف له بالاستقلال التام المطلق في الحجاز ونجد وملحقاتها ، ولا يزال الخلاف بينهما قائما على السكة الحجازية ومنطقة العقبة ومعان يطالبونه بالاعتراف بدخول هذه في شرق الاردن أو بالسكوت لهم عنها وينذرونه تأليب عرب العراق والاردن عليه وتهييج مسلمي الهند وايران ومصر عليه .

نعم يطمع الانكليز بالاستيلاء على الحجاز بقوة المسلمين عامة والعرب خاصة لأنهم رأوا من تخاذل العرب الوطني والجنسي ، مثلما رأوا من تخاذل المسلمين الديني، فكان زعيمان من أشهر خصومهم في الهند أشد خدمة لهم في هذه السبيل من أخلص صنائعهم في بلاد العرب (الملك فيصل والأمير عبدالله) هذان يهددان ملك الحجاز ونجد ويعتديان حدود الله بالتعدي على حدوده والتحرش بقوته — وذانك قد اجتهدا في إيقاع الفشل في المؤتمر الاسلامي العام الذي أجمع على الانكار على الانكليز مسألة العقبة ومعان ومسألة اقتسام منافع السكة الحجازية بينهم وبين أحلافهم الفرنسيس. وما فعلا ذلك حبا في الانكليز بل بغضا في ابن السعود لانه لم يتبع هواهما فيما يريدان أن تكون عليه حكومة الحجاز وهو هوى باطل وتنفيذه محال وطلبه غرور بل جنون

هذه حالهم في الشرق خابوا في كل عمل، وانكشف خداعهم لكل أحد ، ولم يبق لهم أمل جديد إلا في بلاد العرب . ولولا فيصل وعبدالله ولدا الشريف حسين، لرجعوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منها بخفي حنين، اذ كان يستحيل على التقاليد الانكليزية أن تستولي على شيء من أرض الحجاز لنفسها، وقد سبق لنا أن استنجدنا العالم الاسلامي على والدهما موجد هذا الخطر فأنجد. والآن نستصرخه ليهم ما بدا، وينتقم لحرم الله وحرم رسوله من الردى

إن الدفاع عن الحجاز واجب على المسلمين أينما كانوا كل بقدر طاقته، فان استيلاء الانكليز على ثغر العقبة وحده أكبر خطر على المدينة المنورة، وان هذه البلاد قد حرمها الاسلام على غير المسلمين، فلا يجوز لانكليزي ولا لغيره أن يملك فيها ذراعا ولا شبراً، ولا أن يصدر فيها نهياً ولا أمراً، فاذا لم يبال المسلمون كافة بعهد دينهم، ونقض الاجانب لوصية نبيهم، ولا بجعل ركن الاسلام الاجتماعي العام تحت رايتهم ووصايتهم، فاي دين يبقى لهؤلاء المسلمين؟ أيظنون أن الانكليز يحافظون على حرية الحج وكرامة الحرمين في ظل ملكهم حامي الكنيسة الانجيلية وهم يرون باعينهم ويسمعون باذانهم ويقرءون في الكتب والصحف ما يفعل دعاة النصرانية في ثالث الحرمين (القدس) من الطعن في الاسلام والتواطؤ على تنصير جميع مسلمي الارض، وتخصيص الحرمين الشريفين وعرفات وسائر العرب بالذكر؟؟ وقد ظهر لهم سر قوله عليه الصلاة والسلام «اذا ذلت العرب ذل الاسلام» رواه أبو يعلى بسند صحيح

أيها المسلمون

اصغوا، أصيخوا، أنصتوا، استمعوا، وانظروا وتأملوا في عاقبة دينكم، وبيت ربكم، وحرم رسولكم، ليست المسألة مسألة حكومة ملكية أو جمهورية، ولا مسألة أسرة سعودية أو هاشمية، ولا مسألة وطنية حجازية أو يمنية أو نجدية، ولا عصبية مذاهب سنية أو زيدية أو إمامية، ولا قضية جنسية عربية أو فارسية أو أفغانية أو هندية ولا تعاليم سلفية وهابية او خلفية تأويلية، بل المسألة العظمى وهي الطامة الكبرى مسألة الديانة الاسلامية والملة الحنيفية والوصية المحمدية كل ذلك على خطر الزوال والذل والخزي والنكال إذا ظل الأجانب محتلين بقواتهم العسكرية للعقبة ومعان ان سكتنا عن القدس وشرق الأردن الآن وهم يخترقون منها قلب الصحراء العربية إلى العراق

سبحان الله! ما بالكم تسمعون الانكليز يصرحون بأن استقلال المصريين في مصرهم خطر على الهند البريطانية — وبريطانية أقوى دول الارض — ولا يكون احتلالهم هم للعقبة ومعان وعمان واستيلاؤهم على سكة الحديد الحجازية مع حلفائهم الفرنسيس خطراً على الحجاز؟ وليس للحجاز دولة ذات قوة برية بحرية جوية يمكنها أن تدفع عنه هاتين الدولتين القاهرتين كلتيهما ولا واحدة منهما، اللهم الا قوة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الايمان في الشعوب الاسلامية التي يجب أن تكون مع الحجاز إلباً واحداً عليهم

ألا يجب عليكم شرعاً أن تستعملوا قوتكم المعنوية فتجمعوا على مطالبة الدولة البريطانية بترك ما انتزعت من الحجاز للحجاز وتطالبوا الدولتين وسائر الدول بالاعتراف باستقلال الحجاز وسائر جزيرة العرب وبكونها بلاد احرة حيادية لا يعتدي عليها أحد؟ بلى والله لئن سكتم عن هـذا ليحكمن عليكم الاجانب بالموت والفناء أو لتكونن أنتم والحشرات الدنيئة في نظرهم سواء

أنظروا وتأملوا: لماذا أمر نبيكم (ص) في مرض موته باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان ؟ على ما علمتم من تسامح الاسلام وما جاء به من حرية الاديان ؟ أليس قد أوصى بذلك لأن حرم الله وحرم رسوله في الحجاز هما مهبط الاسلام ومثابة أهله ومفزعهم وملجأهم عند الشدة ولا يتم ذلك إلا إذا كان الحجاز خاصاً بهم هو وسياجه من جزيرة العرب.

إذا كان هذا المعنى قد خفي على بعض العلماء المتقدمين فلا يصح أن يخفى على عوام المعاصرين فضلاً عن العلماء ولا سيما المحدثين الذين اطلعوا على قوله (ص) (ان الايمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة — وقوله (ص) (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها) رواه مسلم من حديث ابن عمر ، وحديث (ان الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها . وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل) الخ. رواه الترمذي عن عمرو بن عوف المزني . ومعنى أرز عاد وانكمش وانضم والمراد الذي يدل عليه مجموع الروايات وحالة هذا العصر أن الاسلام عند ما يضعف ويعود غريباً ينكمش إلى الحجاز ويلجأ اليه فيعتصم به كما تعتصم الوعول في رءوس الجبال، وهو الواقع الآن الذي أظهر لنا حكمة وصيته (ص) بان لا يبقى في جزيرة العرب غير الاسلام

أيها المسلمون: إن الدولة البريطانية أطمع الدول ولكنها أعقلها فاذا رأت اجماع السواد الاعظم منكم على مطالبتها بما ذكرنا وإذا بثتم الدعوة في العالم الاسلامي كله على وجوب عداوتها ومقاطعتها فانه يرجى أن تترك منطقة العقبة ومعان للحجاز في المفاوضة السياسية التي ستكون بينها وبين حكومته عن قريب لأن البت فيها قد أرجيء إلى هذه المفاوضة، وكذلك مسألة سكة الحديد الحجازية، فان لم تفعل وجب على كل مسلم أن يبث الدعاية التي أشرنا اليها آنفا بمقتضى النظام الذي يضعه الزعماء لها. وقد آن وقت الفصل بين الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والانكليز فاما صداقة تامة وهي خير لنا ولهم واما عداوة عامة ولن تكون شراً علينا منهم.

ان الدولة البريطانية تعلم ان لدى الامام عبدالعزيز بن السعود قوة حربية لم ير مثلها جزيرة العرب بعد عصر الصحابة وان الجيش البريطاني لا يمكنه أن ينازل هذه القوة في نجد ولا في الحجاز لأسباب جغرافية وسياسية وتقليدية واقتصادية معروفة وان الطيارات ما صارت قوة فاصلة في الحرب ولا سيما في مثل هذه الارض فسالمته ودارته من جهة ووضعت على حدوده في نجد والحجاز عدويه الحاقدين عليه في العراق وشرق الاردن من جهة ثانية وهو أقوى منهما ولكنه لا يرضى أن يتقارع العرب والمصلحة لغيرهما. أفلم يئن للعرب أن يعرفوا كيف أسست أمبراطورية الهند وغيرها بمثل هذه الحيل؟ أو لم يئن للمسلمين أن يتقوا الوقوع اليوم في شر مما وقع فيه من أضاعوا بلادهم من قبل وهو اضاعة دينهم مع بقية دنياهم ؟

أيها المسلمون : ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة في الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه ويحفظوا له بقية بلاده ويستعيدوا الكثير مما فقد منها ، بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعمموا نشره في بلاد الغرب كلها . أقول هذا عن علم وخبرة اكتسبتهما في بحث استمر زهاء ثلث قرن ، ولما أجد لها الزعماء الصالحين لتنفيذها

وكان شيخنا الاستاذ الامام موقنا بهذا وصرح به في الدرس العام بالجامع الازهر وكان قبله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه — وكان قبلهما بطل أوربة نابليون بونابرت يحاول ذلك عن عقيدة راسخة — وما أحبط سعي هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانيه وهي التي تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام أيضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف ومثل هذا العمل يعمله الانكليز سراً لا جهراً وكل توهم فيه خفاؤه واخفاؤه فمتى ظهر فشل اذا أحكم في مقاومته العمل

أيها المسلمون : ان مدنية أوربة المادية لا تجدها منفذا من الهلاك القريب في التنازع بين عباد المال والشيوعيين وفي الاسراف في الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضي هي على ما بقي لهم من ملك وملك وثروة وقوة وقد شرحنا لهم هذا المعنى في كتاب الخلافة وسيرون في باب أحوال العالم الاسلامي من الجزء التالي تتمة ما كنت عزمت على بيانه من جوائبه في هذه الفاتحة. فمن لم يعلم فليبحث وليسأل إن كان لديه من الايمان ما يؤهله للعمل. والا فلا يغشن نفسه بدعوى الايمان .

اللهم انك قد أمرت بالتبليغ وقد بلغت ما عندي اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتاوى المنار

(أسئلة عن أحاديث الصحيحين وما قيل من أغلاطها ورواية أبي هريرة)
(والفرق بين أحاديث التشريع وغيرها)
(س١-٩) من صاحب الامضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله هادي الانام والصلاة والسلام على البشير النذير خاتم الرسل الكرام وعلى آله هداة الامم ومنار الاسلام

أما بعد : من أحمد محمد شهاب الى حضرة من بعثه الله مجدداً لما اندرس من معالم الدين ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، حامي بيضة الاسلام ، امام الأئمة الاعلام (*) صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا .

السلام عليكم ورحمة الله . اطلعت على كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام الذي صححه وعلق عليه حضرة الاستاذ النابه الشيخ محمد عبد العزيز الخولي المدرس بقسم التخصص في القضاء الشرعي فاذا الكتاب طبع في مطبعتين احداهما المطبعة المنيرية لصاحبها حضرة الشيخ محمد منير أغا ، والأخرى للشيخ محمد علي صبيح . وقد جاء في نسخة المطبعة الاولى صحيفة ٩ جزء ١ تعليق لحضرة المصحح على شرح الحديث الشريف ١٢ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء » نقلا عما كتبه حضرة الطبيب محمد توفيق صدقي العالم المتدين في كتابه سنن الكائنات صحيفة ١٦٢ جزء ١ ومما جاء فيه إن من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل منها على

(*) في هذه الالقاب اطراء كبير لسنا أهلا له ولكننا نشكر الرسائل والمسائل كما وردت للاسباب التي بيناها من قبل ما لم نوافق سلفنا كما نرى في فتاويهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طعام الانسان أو يسقط في شرابه أو تقف فوق عينيه وبذلك تنتقل جراثيم الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع . واستشهد على ذلك بما قرره أطباء الانكليز في حرب الترنسفال من انتقال العدوى في أفراد الجيش بواسطة الذباب إلى أن قال : اذا وقف الذباب على الاعين وجب طرده في الحال واذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالاسلم تطهيرهما بالنار . أما مارواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثلا وغيره مما ذكره المحققون وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على ان النبي ﷺ قاله بلفظه مع منافاته للعلم وعدم امكان تأويله مع أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي ﷺ سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال « إن كان جامداً فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي ، وإن كان ذائبا فأريقوه أو لاتقربوه » فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء اذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيران عظيم على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة أنفسهم ! خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته ! وهب أن رسول الله ﷺ قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لايجب عليه الاخذ بكلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يمحصها ويعرضها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها أخذ بها ، وإن علم أنها مما قاله الانبياء (ص) بحسب رأيهم وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك ! وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء ، ومما رواه فيه عن النبي ﷺ قوله « انما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق ، وما قلت فيه من قبل نفسي فانما أنا بشر أخطيء وأصيب » انتهى

والذي نريد أن نعرفه من فضيلتكم:

(١) ماهي أحاديث الصحيحين التي اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٢) ما في حديث وتحديث أبي هريرة رضي الله عنه من المقال ؟ وما الذي قيل في سيرته ؟

(٣) اذا كان لايجب الاخذ بكلام الانبياء (ص) في المسائل الدنيوية المحضة أفلا يكون الأخذ بها سنة أو مندوبا ؟

(٤) هل يوجد ضابط لا يطرق اليه القيل والقال في التمييز بين ماقيل من النبي ﷺ في المسائل الدنيوية وما قاله من قبل نفسه وماقاله على سبيل التشريع ؟

(٥) جواز خطأ الانبياء (ص) فيما قالوه من أنفسهم ودليله وحكمه ؟ وهل ماوقع لنبينا ﷺ من هذا القيل محصور وما هو ؟

(٦) التوفيق بين حديثي الذباب والفأرة ؟

(٧) هل حديث الذباب مع مايشتمل عليه من الاخبار يقال من قبل الرأي أو التشريع

(٨) كيف يكون القول الصادر عن الطبيب محمد توفيق صدقي كفراً مع قول المصطفى ﷺ « انما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي الخ » وما درجة هذا الحديث ومن خرجه ؟

(٩) جاء في تعليق النسخة طبعة عبيح طعن مر على ماكتبه الدكتور محمد صدقي وأنه كفر فهل يجوز هذا الطعن وما حكم قائله ؟

نرجو الافادة عن كل ماتقدم بتوسع حتى تكون الأمة على بينة منه وانا منتظرون فيما تكتبون الشفاء ، والمعهود في سماحتكم الوفاء ، ودمتم محفوظين ، وبعناية المولى القدير ملحوظين ، والسلام ؟

المخلص

أحمد محمد شهاب

٢٨ر١١ر١٩٢٧

رئيس نقطة الحبابية مركز منوف منوفية

[المنار] نحيي السائل بخير من تحيته ، من السلام ورحمة الله وبركاته ونعمته ، ونسأله تعالى أن يجعلنا أهلا لحسن ظنه وإخلاص نيته ، ونخبره بأن أسئلته المهمة قد سبق لنا تحقيقها في المنار ، لذلك نجيب عنها بالاختصار ، فنقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ أجوبة المنار بالترتيب ﴾

(١ ـ أحاديث الصحيحين التي ظهر غلط الرواة فيها)

لم أقف على احصاء لأحاديث الصحيحين التي اتضح لعلماء الحديث أن الرواة غلطوا فيها وعلماء الحديث قلما يعنون بغلط المتون فيما يخص معانيها وأحكامها الذي هو مراد السائل ، وانما كانت عنايتهم التامة بالاسانيد وسياق المتون وعباراتها والاختلاف والاتفاق فيها والمرفوع والموقوف منها ، وما عساه يكون مدرجا فيها من كلام بعض الرواة ليس من النص المرفوع الى النبي (ص)

وانما يظهر معاني غلط المتون للعلماء الباحثين في شروحها وما فيها من أصول الدين وفروعه وغير ذلك ولو لم يكونوا من المحدثين في الاصطلاح على أنهم يرجعون في ذلك إلى أصول المحدثين كقولهم إن صحة السند لا تقتضي صحة المتن في الواقع ونفس الامر حتما ، وعدم صحة السند لا تقتضي وضعه في الواقع ونفس الامر حتما ، وقولهم إن من علامات وضع الحديث وإن صح سنده أن يكون مخالفا لنص القرآن القطعي وفي معناه كل قطعي شرعي كبعض أصول العقائد أو الاعمال المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة بحيث يتعذر الجمع بينهما . ولهذا جزموا بغلط حديث أبي هريرة عند مسلم في خلق السموات والارض في سبعة أيام الذي أوله « خلق الله التربة يوم السبت » لأنه مخالف لآيات القرآن الصريحة في خلق السموات والارض وما فيها في ستة أيام بل حكموا بغلط حديث شريك بن أبي نمر في الاسراء والمعراج من أحاديث الصحيحين في السند والمتن جميعا وهو الحديث الذي فيه أن الاسراء والمعراج كانا في رؤيا منامية ، وذكروا له عللا أشار اليها مسلم مقرونة بسياقه ـ على أن بعض العلماء والحفاظ انتصروا له فيه

واذا كانت مخالفة القطعي سببا للحكم إما بعدم صحة الحديث لعدم الثقة برواته ، وإما لغلطهم في سياق متنه دفعا للضرر وهو أن تختلف الأفهام في ذلك لاختلاف مدارك أصحابها ومعارفهم فالذين لا يعلمون أن الشمس لا تغيب عن الارض ولا تحتجب عن جميع سكانها من البشر ساعة ولا دقيقة لا يرون شيئا من الاشكال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في حديث أبي ذر في بيان أين تكون بعد غروبها لأنهم يظنون أن غروبها عنهم غروب عن جميع العالم .

ولكن حفاظ الحديث ورجال الجرح والتعديل قد انتقدوا بعض أحاديث الصحيحين وجرحوا بعض رجالها بحسب أفهامهم ودرجات معرفتهم وجاء آخرون فانتصروا للشيخين في أكثر ماانتقد عليهما ، وأشهر هؤلاء المنتقدين وأوسعهم تتبعا واحصاء الحافظ أبو الحسن الدارقطني صاحب السنن المشهورة واذا أردت معرفة ذلك مع مافيه وما يرد عليه فراجع الفصلين الثامن والتاسع من مقدمة الحافظ ابن حجر لشرح البخاري . فأما الاحاديث المنتقدة في البخاري فهي ١١٠ أحاديث منها ماانفرد به ومنها ماأخرجه مسلم أيضا ـ وما انتقدوا من افراد مسلم أكثر مما انتقدوا من افراد البخاري ـ واذا قرأت ماقاله الحافظ فيها رأيتها كلها في صناعة الفن التي أشرنا إلى المهم منها عندهم ، ولكنك اذا قرأت الشرح نفسه (فتح الباري) رأيت له في أحاديث كثيرة اشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها مع محاولة الجمع بين المختلفات وحل المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض ، فهذا النوع ينبغي جمعه وتحقيق الحق فيه بقدر الامكان كما حاول الطحاوي في كتابه مشكل الآثار ، وترى نموذجا منه في كلامنا على اشراط الساعة ومشكلاتها في الروايات الصحيحة وغيرها ، على أن من أطال البحث فيه و فيما قبله يدهش لدقة الشيخين ولا سيما البخاري في انتقاء أحاديث الصحيحين وتحريهما فيها

وأما موضوع الفصل التاسع وهو تضعيف كثير من رجال الجامع الصحيح فقد سردها فيه الحافظ سرداً ، وأحصاها عداً ، وترى أن الطعن في أكثرهم مبني على الاختلاف في أسباب الطعن والجرح فيبني هذا جرحه على مايخالف اصطلاح الآخر ، وترى أن المطعون فيهم قلما يخرج لهم حديث في الجامع الصحيح الا في المتابعات للتقوية لا لأصل الاستدلال به ، فان جعله أصلا كان له من الشواهد والمتابعات مايقويه . مثال ذلك حديث كثير بن شنظير (بكسر الشين) البصري عن عطاء في الامر بتغطية الاواني في الليل وربط الاسقية واقفال الابواب ومنع الصغار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الخروج مساء خشية الجن أو الشياطين . كثير هذا قال فيه ابن معين ليس بشيء ، وقال النسائي ليس بالقوي ، وقال الساجي صدوق فيه بعض الضعف ولكن احتج به الجمهور . وقال البخاري عقب تخريج حديثه من كتاب بدء الخلق : قال ابن جريج وحبيب عن عطاء « فان للشياطين » يعني أن ابن جريج وحبيبا المعلم رويا هذا الحديث أيضا إلا أنهما قالا « فان للشياطين انتشاراً وخطفة » بدل قول كثير بن شنظير « فان للجن » الخ أقول ويختلف في غير هذه الكلمة أيضاً . ولم يذكر البخاري المتابعة إلا لعلمه بأن كثيراً هذا قد قيل فيه ماقيل وهو لم يخرج له غيره الا حديثا آخر في السلام على المصلي له متابع عند مسلم

فأنت ترى أن هذا من دقائق التحري في الروايات ، وانما اخترت التمثيل بحديث كثير هذا على كثرة نظائره للاشارة إلى شيء يتعلق بالمتن لم يكن مما يلتفتون اليه ويبحثون فيه ، وهو مافيه من الخبر عن انتشار الجن والشياطين في أول الليل والخوف على الاولاد منهم ، ففي هذا من الاشكال أن أكثر أهل الارض لايمنعون أولادهم من الخروج في هذا الوقت وتمر الاعصار ولا يعرف أحد أن الشياطين فعلت بأحد منهم شيئا — هذا اشكال يخطر في بال كل متعلم في الامصار التي انتشرت فيها العلوم والفنون التي يسمونها العصرية وكل متعلم على طريقتهم في القرى والمزارع ، فيقولون انه مخالف للواقع في تعليل منع الصغار من الخروج في المساء أي في أول الليل ، وقد يزيد على هذا بعض المشتغلين بالعلوم الدينية أن هذا خبر عن أمر يتعلق بعالم الغيب فلا يقبل فيه انفراد راو واحد فيه من هذه الطرق الثلاث التي لاتخلو واحدة منها من علة فكثير ضعفه بعضهم وكذلك حبيب المعلم قال فيه النسائي انه ليس بالقوي ، وقال أحمد ما احتج بحديثه وفي رواية عنه وعن ابن معين ثقة . وأما ابن جريج فهو على فضله وسعة علمه وكثرة روايته مدلس روى عن كثير بن لم يسمع منهم وكان يدلس عن المجروحين كما قاله الحافظ الدارقطني والذهبي عليه أئمة هذا الشأن أنه اذا قال حدثني فهو ثقة وإلا فلا . قال يحيى بن سعيد كان ابن جريج صدوقا فاذا قال حدثني فهو سماع ، واذا قال أخبرني فهو قراءة ، واذا قال « قال » فهو شبه الريح (أي لاقيمة له) وقال الأثرم قال أحمد اذا قال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن جريج قال وأخبرت جاء بمناكير ، واذا قال أخبرني وسمعت فحسبك به . واختلفوا في روايته عن عطاء. قال علي بن المديني (من كبار شيوخ البخاري ورجال الجرح والتعديل) في كتابه سألت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني فقال ضعيف ، قلت انه يقول أخبرني ، قال لا شيء كله ضعيف انما هو كتاب دفعه اليه . أقول فعلى هذا لا ينفعنا في تصحيح هذا الحديث قوله أخبرني كما رواه البخاري عنه ، ولولا مسألة الشياطين لم يكن في متن الحديث اشكال فان الاوامر فيه كلها نافعة لا تتعلق بحفظ الطعام والشراب مما يدخل فيها من الحشرات الضارة ، وكذلك اغلاق الباب عند النوم وإطفاء السراج ، على انه يمكن أن يراد بالشياطين فيه شياطين الانس الذين يؤذون الاطفال وفي مصر خطفة منهم يأخذونهم فيستخدمونهم لأنفسهم أو لغيرهم ويكرهون البنات على البغاء عند الاستعداد سنهن لذلك أو قبله ، فيزول اشكال المتن فيه

﴿ ٢ — الجواب عن حديث أبي هريرة وتحديثه ﴾

أقول إن أبا هريرة (رض) كان من أحفظ الصحابة وهو صادق في تحديثه ولكن اسلامه كان في سنة سبع من الهجرة فصحب رسول الله ﷺ ثلاث سنين ونيفا فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي ﷺ وانما سمعها من الصحابة والتابعين ، فان كان جميع الصحابة عدولا في الرواية كما يقول جمهور المحدثين فالتابعون ليسوا كذلك ، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الاحبار ، وأكثر أحاديثه عنعنة . على أنه صرح بالسماع من النبي ﷺ في حديث « خلق الله التربة يوم السبت » الخ وقد جزموا بأن هذا الحديث غلط من أصله وفي تفسير الحافظ ابن كثير أن أبا هريرة أخذه عن كعب الاحبار

وأما نهي عمر له عن التحديث فلأن عمر (رض) كان يرى التشديد في رواية الحديث وكتابته وهذه مسألة كبيرة سبق للمنار سبح طويل فيها . وقد كتب بعض المبشرين بالنصرانية مقالا طويلا بالطعن في حديثه وجاءوا بشبهات على ذلك من بعض الكتب وغرضهم من الطعن فيه الطعن في رواية السنة وصحتها وقد فندنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلامهم في مقال منفصل نشرناه في الجزئين الاول والثاني من مجلد المنار التاسع عشر فليراجعه السائل ، فما نظن أنه يبقي مقالا لقائل ، وهو يتضمن التفصيل في الرد على الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله) الذي أجملناه في المجلد الثامن عشر

﴿ ٣ — حكم كلام الرسل عليهم السلام في الامور الدنيوية ﴾

إن مايرد في كلام الرسول ﷺ من الاوامر والنواهي والآراء الدنيوية المحضة يسميه علماء الاصول ارشاداً كما قالوا في حديث جابر الذي تكلمنا عليه في الجواب عن السؤال الاول وهذا لفظه «خمروا الآنية وأوكئوا الاسقية وأجيفوا الابواب ، وأكفتوا صبيانكم عند المساء — فان للجن انتشاراً وخطفة — وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فان الفويسقة (أي الفأرة) ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت » ومثله « كلوا الزيت وادهنوا به فانه طيب مبارك » رواه الحاكم وابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند صحيح وفي الأمر به روايات أخرى ضعيفة ، ومثله « كلوا البلح بالتمر » الخ رواه النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عائشة بسند صحيح . وكذا رأيه ﷺ في تلقيح النخل وسيذكر — والعمل بأمر الارشاد لايسمى واجباً ولا مندوبا لأنه لايقصد به القربة فليس فيه معنى التعبد . قال القرطبي جميع أوامر هذا الباب من باب الارشاد الى المصلحة . ويحتمل أن تكون للندب ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر اه من الفتح وهو مأخوذ من قول بعض العلماء قبله ان كل مباح يفعل في الاسلام بنية القربة يصير عبادة يثاب عليها . أقول ولكنه لايسمى سنة ولا مندوبا بذاته فان القربة هنا هي النية

﴿ ٤ — الضابط القطعي بين ماقاله الرسول رأيا وارشاداً وما قاله تشريعا ﴾

ظاهر حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأي فانما أنا بشر » وحديث عائشة وأنس عن مسلم أيضاً من تعليله ﷺ تلك المسألة : مسألة تلقيح النخل بقوله ﷺ «أنتم أعلم بأمر دنياكم» — ظاهره — أن جميع أمور الدنيا متروكة إلى الناس يتصرفون فيها باجتهادهم واختبارهم لايتعلق بها تشريع ، ذلك بأنه (ص) لما جاء المدينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورآهم يؤبرون النخل ارتأى أنه ليس له تأثير وسمع بعضهم منه مايدل على ذلك فترك تأبير نخله فلم يثمر الثمر الجيد المعتاد بل خرج شيصاً رديئا فذكروا له ذلك فقاله كما سبق لنا بيانه ، وذكر لهم انه قاله ظن أي لا عن وحي ، وانهم أعلم بدنياهم . وليس هذا على اطلاقه فان من أمور الدنيا مافعله أو تركه ضار قطعا بشخص العامل أو بالناس فيتعلق به تشريع التحريم وما كان مظنة النفع والضرر فيتعلق به تشريع الندب والكراهة ، وكل مايفعل بنية القربة ورجاء الثواب من الله تعالى فهو عبادة اذا كان مشروعا ، وبدعة اذا لم يكن مشروعا ، وكل مارتب على فعله ثواب أو عقاب فهو مما يتعلق به التشريع . والضابط العام أن التشريع ماثبت بنص يدل على طلب الشارع لفعل شيء على سبيل القطع وهو الوجوب أو غير القطع وهو الندب أو طلبه لترك شيء بالنهي عنه أو الوعيد عليه على سبيل القطع وهو المحرم أو غير القطع وهو المكروه ـ أو بالاباحة الرافعة للحظر ، فأفعال الرسل الدنيوية العادية تدل على أن مايفعلونه مباح لا حظر فيه على الناس ولا وجوب ولا ندب إلا بدليل خاص يدل على ذلك فالتشريع لهم ولغيرهم عام إلا اذا قام الدليل على التفرقة بين الرسول وأمته كالخصائص المختصة بنبينا (ص) دون الامة وهي معروفة

وقد بينت كتب أصول الفقه هذه المسألة في شرح الاحكام الخمسة ولكنني لم أر لأحد ضابطا عاما لايمكن فيه القيل والقال ، فهنالك الأصل الذي تشير اليه أحاديث تأبير النخل فلفظ « أمور دنياكم » عام تدخل فيه جميع أمور الزراعة والصناعة وكل ما يصل اليه البشر باختبارهم وبحثهم ولا يحتاجون فيه الى وحي إلهي ، وتدخل فيه أمور الطعام والشراب واللباس إلا ما استثنى نص القرآن من تحريم الميتة والدم المسفوح وما أهل به لغير الله وشرب الخمر ، أو نص الحديث كلبس الحرير (الخالص أو الغالب) للرجال والأكل والشرب في أواني الذهب والفضة لما في ذلك من الاسراف المنهي عنه في القرآن فهذه أمثال لما استثني بعينه . وآيات حظر التحريم بغير وحي من الله تعالى وتسميته افتراء على الله كقوله تعالى (قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) وقوله (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وغيرهما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفوق هذا أصل الاباحة بنص قوله تعالى (خلق لكم مافي الارض جميعا) ولكن لا يدخل في عموم الحديث والآيات إباحة مافيه ضرر ولا مايتعلق به حقوق الناس أو يقال انه من المستثنى بنصوص وقواعد أخرى لأن التنازع في الحقوق والمصالح وإن كان مما يدخل في استطاعة البشر الاهتداء الى الاحكام الفاصلة فيه يحتاج في قواعده الى تشريع إلهي تخضع له النفوس باطناً بوازع الدين والعقيدة كما تخضع له ظاهراً بوازع السلطان والقوة .

وهنالك أمور مشتبهات لها جهات مختلفة كاطلاق اللحية وقص الشارب أو احفائه وفرق الشعر وخضب الشيب . هـذه أمور صح أمر النبي (ص) بها وهي من أمور العادات والزينة المباحة في الاصل ، ولـكن علل بعضها بمخالفة أهل الملل الأخرى ليكون المسلمون أمة مستقلة في جميع مشخصاتها ممتازة عن غيرها، يقتدى بها ولا تقتـدي بغيرها ـ فهذه الامور الدنيوية العادية قد نظر فيهـا الى مصلحة اجتماعية للأمة . ولما لم تكن من الأمور التعبدية التي يقصد الامتثال فيها لذاته يصح أن يقال فيها انها تتبع علتها وجوداً وعدما ، وقد ترك المسلمون فرق الشعر خلافا لقول الرسول ﷺ وفعله ، وصار من يفرق شعره يعد متشبهاً بغير المسلمين من الافرنج وغيرهم والنبي ﷺ كان يسدل شعره أولا فلما رأى أهل الكتاب بعد الهجرة يسدلون شعورهم صار يفرقه مخالفة لهم ، وقد اختلفت الحال اليوم، وقد سبق لنا بيان لها في مواضع من التفسير والمنار منها المطول والمختصر وآخر المختصر ماذكرناه في تفسير قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وهو في الجزء العاشر من المنار م٢٨ الذي صدر في شعبان بتاريخ ٣٠ رجب الماضي أعني الذي صدر قبل هذا الجزء

﴿ ٥ — جواز خطأ الانبياء في آرائهم ودليله وحكمه وحصره ﴾

قال الله تعالى لخاتم رسله (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) الآية وقال ﷺ « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانمـا أنا بشر » رواه مسلم والنسائي من حديث رافع بن خديج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(رض) وقال أيضا « انما أنا بشر مثلكم وان الظن يخطيء ويصيب ولكن ماقلت لكم قال الله فلن أكذب على الله » رواه الامام أحمد وابن ماجه من حديث طلحة (رض) بسند صحيح ، وقال أيضا « انما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو يتركها » رواه الجماعة من حديث أم سلمة (رض) والجماعة هنا الامامان مالك وأحمد والشيخان البخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة . وموضوع الحديث الخطأ في الحكم بسبب خلابة المخطيء من الخصمين وقوة حجته

ومن أصول العقائد الاسلامية المأخوذة من هذه النصوص وأمثالها أن الرسل عليهم السلام بشر يجوز عليهم كل مايجوز على البشر من الامور البشرية التي لاتخل بمنصبهم من الصدق والامانة في تبليغ الرسالة والعصمة عن مخالفة ماجاؤا به من أمر الدين الخ ، وقد اتفق المسلمون على جواز وقوع الخطأ من الرسل عليهم السلام في الرأي والاجتهاد ، ولكن الله تعالى لا يقرهم على خطأ في اجتهاد يتعلق بالتشريع كمصالح الامة بل يبينه لهم كما حصل في اجتهاد نبينا ﷺ في مسألة الاسرى ببدر مع المشاورة اذا رجح رأي الصديق في أخذ الفداء منهم فأنزل الله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) الآية ، وفي اجتهاده ﷺ في الاذن لبعض المنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك فأنزل الله تعالى عليه (عفا الله عنك لم أذنت لهم) وفي اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه قبل ذلك في الاعراض عن عبدالله بن أم مكتوم الاعمى الفقير عند ماجاءه وهو يكلم كبراء قريش راجيا هدايتهم لئلا ينفروا منه لكبريائهم فأنزل الله عليه (عبس وتولى أن جاءه الاعمى) إلى قوله (كلا) ردعا عن مثل هذه السياسة . وقد كان ﷺ يرجع عن رأيه لرأي أي من أصحابه كما فعل عند مااختار النزول في مكان يوم بدر فأشاروا عليه بما هو خير منه . وأولى من ذلك رجوعه إلى رأي الأكثرين بعد المشاورة كما فعل يوم أحد . ولكني لم أقف لأحد من العلماء على احصاء لحصر هذه المسائل في موضع واحد يرجع اليه وهذا أشهر ماورد في هذا الباب ، وهو الذي يتبادر إلى الذهن وقت الكتابة من غير مراجعة كتاب ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ ٦و٧ الجمع بين حديثي الذباب والفأرة وهل الاول رأي أو تشريع ﴾

الفقهاء يفرقون بين الحديثين بأن الفأرة مما له دم سائل فلا يعفى عن تنجيسه لما ينجسه اذا كان ميتا والذبابة ليست كذلك فيعفى عن تنجيسها لما تقع فيه أو يقال إنها لا تنجسه . وأما الحكم الطبي فيهما فواحد فكلاهما ضار في الطعام والشراب باتفاق الاطباء ، فان كان ضرر الذبابة الواحدة لا يبلغ ضرر الفأرة الواحدة فللكبر والصغر دخل في ذلك ، ويجوز أن يكون مقدار ثقل الفأرة من الذباب أضر منها ، والمعول في مثل هذا على خبرة الاطباء

وحديث الذباب المذكور غريب عن الرأي وعن التشريع جميعا . أما التشريع في مثل هـذا فان تعلق بالنفع والضرر فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعاً فهو محرم قطعا ، وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الاقل إن كان الظن ضعيفا . فغمس الذباب في المائع الذي يقع فيه لا يتفق مع قاعدة تحريم الضار ولا مع قاعدة اجتناب النجاسة ـ وأما الرأي فلا يمكن ان يصل الى التفرقة بين جناحي الذبابة في أن أحدهما سام ضار والآخر ترياق واق من ذلك السم . فان صح الحديث بلفظه ولم يكن فيه غلط من الرواة ولم يكن معناه معروفا مسلما في ذلك الزمان فالمعقول فيه أن يكون عن وحي من الله تعالى ، وحينئذ يمكن أن يعرف ببحث الاطباء المبني على القواعد الحديثة كالتحليل الكيميائي والبحث الميكرسكوبي بأن يجمع كثير من أجنحة الذباب اليمنى واليسرى كل على حدته وينظر في أكبر منظار مكبر ، ثم يحلل فينظر هل يختلف تركيبه ثم تأثيره في بعض الاحياء كشأنهم في هذه النظائر . فان ثبت بالتجربة القطعية ان الجناحين سواء في الضرر كما هو الغـالب في النظر ثبتت معارضة الواقع القطعي لمتنه وهو ظني لانه خبر واحد ، فيحكم بعدم صحته إن لم يمكن تأويله كما هو الظاهر . ولا خلاف في ترجيح القطعي على الظني من منقول ومعقول ومختلف كما بينه شيخ الاسلام في كتاب النقل والعقل

هذا واننا لم نر أحداً من المسلمين ولم نقرأ عن أحد منهم العمل بهذا الحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالظاهر أنهم عدوه مما لادخل له في التشريع كغيره من الاحاديث المتعلقة بالمعالجات الطبية والأدوية. وقد تكلم علماؤنا في معناه وذكروا اعتراضا عليه لبعض الناس جهلوه به وهو قوله كيف يجمع جناحاه بين الدواء والشفاء؟ وردوا عليه بأن كثيراً من المخلوقات تجتمع فيها المتضادات كالحية فيها السم ولحمها يجعل في الترياق منه، والنحلة يخرج من فمها العسل النافع ومن أسفلها القذر الضار، ونقلوا عن بعض الاطباء أن في الذبابة سماً، فاذا وقعت في طعام أو شراب أو غيرهما تلقي بسمها على ماتخشى أن يضرها أي كما تفعل كل الحشرات السامة، وذكروا ان من المجربات شفاء لسعة الزنبور بدلكها بالذباب أو بالزنبور نفسه. وفي الطب الحديث أن نسم الجنة الخفية التي يسمونها الميكروبات منها الضار والنافع وانهما يتدافعان ويتقاتلان في دم الانسان حتى يغلب أحدهما الآخر. فعلى هذا لا يمكن القطع بأن متن الحديث مخالف للواقع ونفس الأمر وان كل ذباب يغمس في الطعام أو الشراب فهو ضار إلا بتجارب خاصة بهذا الأمر

هذا وإن اخراج البخاري لهذا الحديث في جامعه لايعصمه من التماس علة في رجاله تمس مناعة صحته، فان مداره عنده على عبيد بن حنين مولى بني زريق انفرد به وليس له غيره فهو ليس من أئمة الرواة المشهورين الذين تخضع الرقاب لعدالتهم وعلمهم وضبطهم كمالك عن نافع عن ابن عمر مثلا، ومن الغريب انه لم يذكر في تهذيب التهذيب أن له رواية عن أبي هريرة فان كان بينهما واسطة يكون منقطعا ولكن لم يذكر الحافظ ذلك على تحريه لمثل هذه العلل. وفيه ان أباحاتم قال فيه كان صالح الحديث وهي من أدنى مراتب التوثيق حتى قدم الحافظ الذهبي وغيره عليها كلمة لا بأس به. فاذا غلب على قلب مسلم أن رواية ابن حنين هذا غير صحيحة وارتاب بغرابة موضوع حديث الذباب لايكون قد ضيع من دينه شيئاً، ولا يقتضي ارتيابه هذا أو جزمه بعدم صدق ابن حنين فيه الطعن في البخاري لانه قبل روايته لانه لم يعلم جارحا يجرحه فيه إلا هذا الشذوذ الذي يجبره حديث أبي سعيد عند النسائي وابن ماجه بمعناه وإن كان على غير شرط البخاري في الصحيح، ولكن يرد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على المرتاب تصحيح لابن حبان لحديث أبي سعيد، وقد يقول اذا وجدت علة في رواية البخاري تمنعني من القول بصحة الحديث مع كونه أشد الحفاظ تحريا فيما يخرجه في صحيحه مسندا فهل يمنعني منه تصحيح ابن حبان المعروف بالتساهل في التصحيح ؟ وكل من ظهر له علة في رواية حديث فلم يصدق رفعه لأجلها فهو معذور شرعا ولا يصح أن يقال في حقه انه مكذب لحديث كذا . كما ان من اعتقد ان حديث كذا صحيح وكذبه يصدق عليه انه مكذب ويترتب عليه حكم التكذيب

(تنبيه) ان ابن حنين راوي حديث الذباب من مسلمة الأعاجم والظاهر انه من النصارى . وراوي حديث الشياطين المتقدم وهو ابن شنظير منهم أيضا وكل منهما غير مشهور بالعلم والرواية ، فالظاهر أن البخاري اكتفى بعدم الطعن فيهما

﴿ ٨و٩ — تكفير محمد توفيق صدقي لعدم تسليمه حديث الذباب ﴾

ان الذي كفر الدكتور محمد توفيق صدقي رحمه الله تعالى لاعتقاده ان حديث الذباب مخالف للواقع لا يصح رفعه الى الرسول الاعظم ﷺ جاهل كما علم من الجواب الذي قبل هذا . وقد يصدق عليه حديث « اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » رواه البخاري من حديث أبي هريرة وابن عمر مرفوعا وله روايات أخرى عند غيره أيضا. وأنا وإن لم أعرفه ولا رأيت تكفيره أتمنى لو يكون مثل المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي فيما اختبرت من قوة ايمانه وقدرته على إقامة البراهين العلمية على عقائد الاسلام كلها وفي قدرته على رد الشبهات عنها ـ وفي غيرته على الاسلام التي حملته على درس الكتب الكثيرة لأجل الدعوة اليه والدفاع عنه جدلا باللسان وتأليفا للكتب . انني أعلم علم اختبار واسع دقيق ـ لا علم غيب ـ ان هذا الرجل كان من أقوى المسلمين دينا في اعتقاده وفي عبادته وفي اجتنابه لما حرم الله تعالى. فاذا كان مثل هذا الرجل يعد كافرا لانه لم يصدق رفع حديث كحديث الذباب ليس من أصول الاسلام ولا من فروعه وهو يجل الرسول ﷺ عن قول مثله ؟ فأين نجد المسلمين الصادقين ؟

هذا وانني أعلم بالاختبار أيضا ان ذلك المسلم الغيور لم يطعن في صحة هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحديث كتابة إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الاسلام ، وتكون سبباً لردة بعض ضعفاء الايمان، وقليلي العلم الذين لا يجدون مخرجا من مثل هذا المطعن إلا بأن فيه علة في المتن تمنع صحته، وكان هو يعتقد هذا . وما كلف الله مسلما أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل مافيه وان لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافي أصول الاسلام ،

سبحان الله ! أيقول ملايين المسلمين من الحنفية ان رفع اليدين عند الركوع والقيام منه مكروه شرعا وقد رواه البخاري في صحيحه وغير صحيحه عن عشرات من الصحابة بأسانيد كثيرة جداً ، ولا إثم عليهم ولا حرج لأن إمامهم لم يصح عنده لانه لم يطلع على أسانيد البخاري فيه، وكل من اطلع من علماء مذهبه عليها يوقن بصحتها ـ ثم يكفر مسلم من خيار المسلمين علما وعملا ودفاعا عن الاسلام ودعوة اليه بدليل أو شبهة على صحة حديث رواه البخاري عن رجل يكاد يكون مجهولا واسمه يدل على انه لم يكن أصيلا في الاسلام وهو عبد بن حنين وموضوع متنه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا التزم المسلمون العمل به ، بل ما من مذهب من المذاهب المقلدة إلا وأهله يتركون العمل ببعض ماصح عند البخاري وعند مسلم أيضاً من أحاديث التشريع المروية عن كبار أئمة الرواة لعلل اجتهادية أو لمحض التقليد وقد أورد المحقق ابن القيم أكثر من مائة شاهد على ذلك في كتابه اعلام الموقعين ، وهذا المكفر للدكتور منهم ، فنسأله بالله تعالى أن يصدقنا هل قرأ صحيح البخاري كله واعتقد كل مافيه والتزم العمل بكل ماصححه ؟ إن كان يدعي هذا فنحن مستعدون لدحض دعواه . مع هذا كله نقول بحق ان صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله ولكنه ليس معصوما هو ورواته من الخطأ وليس كل مرتاب في شيء من روايته كافراً ! ما أسهل التكفير على مقلدة ظواهر أقوال المتأخرين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفسير القرآن الحكيم

(رأي الاستاذ العلامة الفقيه مدرس الشريعة الاسلامية)

(في كلية الحقوق بالجامعة المصرية فيه وفي مجلة المنار)

إلى الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

تعلم أيها الصديق الحميم إعجابي بك وشغفي بما تخطه يمينك من مقالات الاصلاح لا لانك صديقي «وعين الرضا عن كل عيب كليلة» بل لانك تكتب وتقول عن علم صحيح، وتفكير صائب، وقلب فاهم، ونفس تريد الخير للمسلمين في كل ما يصدر عنها، فلا عجب إذا كنت أدعو كل من آنس فيه الاستعداد للخير أن يقرأ المنار فينتفع منه على قدر استعداده، فقد تناولت فيه من كل وجوه الاصلاح الاسلامية بفضل الله ونعمته مالم يتيسر في جملته لغيرك، وقد زدته حسنا على حسن بما ضمنته من جواهر الكلام، لشيخنا الاستاذ الامام، عليه من الله الرحمة والرضوان، فنظمت فيه من اللآلي، ما كان ينثره رضي الله عنه في دروس التفسير التي يلقيها على الجماهير في الازهر المعمور، وضممت اليها ماشاء الله أن يفتح به عليك من نفيس الفرائد، ثم انفردت به بعد أن استأثرت بالشيخ رحمة ربه فكنته فيما استقلت به، ولا غرو «فان العصا من العصية»

ثم جردت تفسير المنار وطبعته على حدة جزءاً جزءاً مبتدئا بالجزء الثاني وأخيراً طبعت الجزء الاول كذلك بعد أن أنشأته خلقا جديداً. وقد أسعدني الحظ بتصفحه وقراءة أدق مباحثه بعد قراءة مقدمتيه ـ فاتحكم والمقدمة المقتبسة من دروس الاستاذ الامام ـ فرأيت نور الهداية الربانية قد فاض عليه وغمره من أوله الى آخره، وقد استوقفني في فاتحكم عدة مواضع كان يتوارد على خاطري في كل موضع منها بحكم تداعي المعاني الشيء الكثير

من ذلك ما جاء من جعل مقلدة المذاهب أصولا وفروعا مذاهبهم أصلا والقرآن فرعا لها فعكسوا القضية حتى لقد غلا بعضهم غلواً فاحشا نعوذ بالله منه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذ يقول : اذا خالف النص من كتاب أو سنة قول أصحابنا فان النص يحال على النسخ أو التأويل. وأذكر اني تناولت مرة بعض التفاسير المطولة[1] لاراجع فيه تفسير آية من آيات الاحكام فكنت في أثناء قراءتي أجدني قد قرأت مثل هذا الكلام في بعض الكتب الفقهية فما انتهيت إلى آخره حتى وجدته يقول كذا في فتح القدير ، فأطبقت الكتاب وعقدت النية على أن لا أعود إلى قراءة شيء فيه بعد ذلك لأني انما تناولته لأقرأ في كتاب تفسير لا في كتاب الفتاوى الهندية

ومن ذلك ماأوردتموه من الملاحظات الجيدة على التفسير بالمأثور وأنه لا يؤخذ بكل ماروي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك لما ثبت أن بعضهم روى عن أهل الكتاب كأبي هريرة وابن عباس فالحق هو ماقلتم أن كل مالا يعلم إلا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وأمثاله لا يقبل في اثباته إلا الحديث الصحيح المرفوع إلى النبي ﷺ وهذه قاعدة الامام ابن جرير التي يصرح بها كثيراً ، فبهذا الطريق نسلم مما لايحصى كثرة من الاكاذيب والخرافات المخجلة وتطهر منها كتب تفسير كلام الله

ومن ذلك ماحكيتموه عن الاستاذ الامام من قوله « إن بعض الناس يوجد فيهم خاصية أنهم يقدرون على الكلام في أي موضوع أمام أي انسان سواء أكان يدرك الكلام ويقبله أم لا ، وهذه خاصية كانت موجودة عند السيد جمال الدين يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها . وأنا كنت أحسده على هذا لأني تؤثر في حالة المجالس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام إلا اذا رأيت له محلا ، وهكذا الكتابة فاني ربما أتصور أن أكتب في موضوع وعند ماأوجه قواي لجمع ماتحسن كتابته تتوارد على فكري معان كثيرة ووجوه للكلام جمة ثم يأتيني خاطر : لمن ألقي هذا الكلام ومن ينتفع به ؟ فأتوقف عن الكتابة وأرى تلك المعاني التي اجتمعت عندي قد امتص بعضها بعضا حتى تلاشت ولا أكتب شيئا . » فأذكرني هذا ماصنعه أبو حيان التوحيدي بكتبه اذ أحرقها ضنا بها على الناس بعد أن بذل مافي وسعه في تحريرها وكتب في ذلك خطابه المؤثر لبعض أصدقائه ، فهذه

[1] يعني تفسير الآلوسي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاث مراتب مرتبة من يلقي الحكمة على أي كان غير ناظر إلى من تلقى عليه فلعلها إن أخطأت مرة أصابت مرة وهذه هي مرتبة السيد رحمه الله، وهي مرتبة حب الخير المطلق والاخلاص والغيرة على الاصلاح والطمع في هداية الناس أجمعين فكان لاجرم ان غبط الاستاذ الامام السيد عليها قدس الله سرهما

ومرتبة الحكيم الحذر الذي يتحين الفرص فلا يلقي الحكمة إلا على من هو مستعد لقبولها والانتفاع بها وهذه هي مرتبة الاستاذ الامام كما حدث عن نفسه، لكنه بعد ذلك ما كان يضن بدرره الغوالي كما شاهدنا ذلك منه في دروس التفسير وفي غيرها بل كان يصرح كثيراً بمخالفة ما ألفه العامة بمنتهى الشجاعة والاقدام مؤيداً مايقوله بالبراهين الناصعة ، والحجج الدامغة ، والجمهور يستمع لما يقول

ومرتبة الضنين على الناس بما يراه صالحا لهم فكأنهم وتروه فثأر لنفسه منهم وهذه مرتبة أبي حيان ،

فصاحب المرتبة الاولى ينظر إلى الناس نظر الرحمة والشفقة، وصاحب المرتبة الثانية ينظر اليهم بعين الحذر والحكمة مع محبته الخير لهم ، وصاحب المرتبة الثالثة ينظر اليهم نظر المقت والانتقام

هذا بعض ما استوقف نظري مما مر به لكن أشد مااستوقفني تلك الكلمة الجامعة الحكيمة التي كأن روح القدس نطق بها على لسانك : «إذا صلحت النفس البشرية أصلحت كل شيء تأخذ به » فوقفتني وقفة غارق في بحار التأمل ، تارة أستعيد ماضي الاسلام المجيد وما طرأ على المسلمين بعد عصر النور من ظلم الفساد ، وأخرى أنظر إلى حاضر المسلمين وما هم عليه من سوء الاحوال الاجتماعية وتفرقة الكلمة والانحراف عن كتاب الله تعالى ، ثم أفكر في مستقبلهم اذا استمروا على هذا الحال فأرتد كئيباً حزينا يكاد يقتلني الأسى ويمزقني الغيظ

وكان مما خطر ببالي في وسط تلك الدهشة مايظنه بعض المساكين من متعلمي المسلمين ذلك التعليم الحديث الذي ظنوه كاملا وما هو إلا في أحط دركات النقص ، ظنوا هداهم الله ان السيادة والاستقلال يكفي لاستحقاقهما ذلك القدر من العلم الذي حصلوه وتلك الشهادات الدراسية العليا التي نالوها من أرقى المعاهد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلمية الاوربية بجدارة وتفوق حتى على كثيرين من أبناء تلك الامم التي نالوا تلك الشهادات من معاهدها ، حتى قال مسكين منهم معتزاً بما حمله من تلك الشهادات وما حصل عليه من قشور القشور التي ظنها علما قيما : ما بالنا لا نعطى الاستقلال وقد أعطيه العرب الجهال رعاة الابل ونحن (أولا) على درجة من العلم والمدنية الغربية تجعلنا خير أهل لذلك (وثانيا) نحن من نسل أولئك الفراعنة ذوي الحضارة القديمة التي بهرت أنظار الغربيين ؟ وفات هذا الشيخ الطفل ان الاستقلال ليس منحة تعطى بل هو نتيجة طبيعية لازمة لحالة الامة الاجتماعية سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تحويلا)

فهؤلاء العرب الجهال رعاة الابل الذين لم يتشرف واحد منهم بنيل شهادة الدكتوراه ولا مادونها ، انما نالوا الاستقلال بنفوسهم الصالحة تربية ووراثة فلم يمسسهم ولا أسلافهم ذل الاستعباد ، ولم يتطرق إلى أخلاقهم الرفيعة الفساد الوضيع ، وأما أعلى الشهادات وأرقى أنواع تلك العلوم فمحال أن تكون من مهيئات الاستقلال والسيادة مع فساد النفوس وضعتها ، وانحطاط الاخلاق وانحلالها ، والانغماس في الشهوات البدنية والتفاني فيها ، فليس للاستقلال والسيادة إلا طريق واحد هو النفس الصالحة فهي حسبهما وكفى ، وأما التبجح بالانتساب إلى الفراعنة فهو عجيب ممن ينتمون إلى الاسلام ، بل الاولى بهؤلاء المنتسبين أن ينسبوا أنفسهم إلى الامة التي استعبدتها الفراعنة وساموها الخسف والهوان وسخروها لخدمتهم لاغير ، فهذا هو الواقع والانصاف يقضي عليهم بأن ينتسبوا إلى أصولهم الحقيقيين

على أن العلم المادي في أقوى معداته ومجهزاته المهلكة المدمرة لم يستطع أن يقف بأصحابه أمام الاخلاق المتينة . ولدينا أقرب شاهد على ذلك من الحرب العظمى التي انهزم بها ذلك العلم المادي بجبروته وعظمته أمام الاخلاق الثابتة والنفوس المطمئنة الهادئة ، وولت الادبار القوى المادية أمام القوة المعنوية ، وما انتصر المسلمون في عصور الهداية والنور إلا بنفوسهم الصالحة فانتصروا على دولتي فارس والروم وكل من حاربوهم من الامم مع كثرتها الساحقة في العدد والعدد وقديم حضارتها ، ولكن ماقيمة كل ذلك أمام النفوس الصالحة ؟ ولما استقرت قدم المسلمين في البلاد التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتحوها ونشروا فيها نور الايمان الصحيح بالله تعالى أحلوا فيها العدل محل الظلم، والأمن محل الخوف، والسكينة محل الاضطراب، والوفاء محل الغدر، والحرية الصحيحة محل استعباد الانسان لأخيه الانسان، فأصلحوا بنفوسهم الصالحة كل شيء اتصلوا به

نعم «اذا صلحت النفس البشرية أصلحت كل شيء تأخذ به» هذه حقيقة لاريب فيها، ففي صلاح النفس عزها وفلاحها واعدادها لاصلاح كل ما اتصل بها ولا طريق لصلاح النفس صلاحا حقيقيا إلا الاخذ بما جاء به الكتاب العزيز والاهتداء بهديه ففي ذلك الخير كله، بذا جف القلم وقضي الامر

وان خير تفسير لكتاب الله تعالى على ما نعلم من حيث هو كتاب هداية وإرشاد لهو تفسير المنار، أقول لك ذلك أيها العالم الموفق غير مداج ولا مجامل، بل أترجم لك عما تتحدث به إليّ نفسي، غير أني أقترح عليك - وأرجو أن يسمح لك وقتك بما اقترح - أن تقتبس من هذا التفسير الممتع تفسيراً مختصراً يحتوي زبدته لينتفع به العامة، ومن لا يتسع وقته لقراءة التفسير المطول

أسأل الله تعالى أن يكون معك ويمدك بروح منه، ويهبك القدرة على إتمام هذا التفسير ومختصره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته أخوك المخلص

أحمد ابراهيم ابراهيم

أستاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

من عهد الصليبيين

عثر أحد العمال في حي الميناء بطرابلس الشام على لوحة رخامية مكتوب عليها بالفرنسية القديمة ما ترجمته:

«باسم الروح القدس نحن بومون بنعمة الله أمير أنطاكية وكونت طرابلس صنعنا هذا البرج من أموال جالية طرابلس عام ١٢٦٨ لميلاد السيد المسيح»

وقد أرسلت هذه البلاطة إلى دائرة الآثار في المفوضية الفرنسية لاصلاحها ووضعها في المتحف اللبناني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

٧

﴿الرد على رسالة العالم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبد القادر الهلالي﴾

﴿ وهو عالم سلفي مستقل لا يتعصب لمذهب من المذاهب المقلدة ﴾

﴿ المقام الثلاثون ﴾ قوله سيما أن أول من شيد قبر امير المؤمنين (ع) هو هارون الرشيد خليفة المسلمين في عصره وتابعه على ذلك سائر الخلفاء حتى عبد الحميد خان التركي فانهم لم يزالوا يجددون عمارته

أقول لم يات السيد مهدي بدليل يصح به مانقله عن الرشيد وانا لاأدرى أول من بنى القبر المنسوب الى أمير المؤمنين علي (كرم الله وجهه) ولكني اذكر اني قرأت في بعض كتب شيخ الاسلام وهو من اثبت الناس في النقل ان أول من بنى المشاهد وسنها للناس هم الشيعة وظني بهارون الرشيد انه لا يفعل ذلك، ولا يبلغ به الجهل الى هنالك، فان صح ذلك عنه قلنا كان ماذا؟ غير معصوم فعل ذنبا فهو الى الله، وأقوال هارون الرشيد وافعاله ليست شرعا يحتج بها لا عند الشيعة الذين يعتقدون انه من أظلم الناس ان لم يكفروه، بل المفهوم من كلام بعضهم تكفيره، ولا عند أهل السنة الذين يعتقدون انه خليفة المسلمين وأفعاله كافعال غيره من الائمة ليست حجة ولو لم تخالف نص الرسول، فكيف اذا خالفته؟ وليت شعري اي فائدة في الاحتجاج بافعال الملوك وقد حبس الرشيد الكاظم (رض) حتى مات في حبسه فلو قال لك قائل هذا خليفة المسلمين يجوز له تعزير من خرج عليه او توقع خروجه بالنصوص الصحيحة بل يجوز له قتل من خرج عليه لا نعلم في ذلك خلافا بين اهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السنة فهل كان في حبسه للكاظم محسنا ام مسيئا؟ فما جوابك؟ وبالاحتجاج بفعل الملوك يتأول المتأولون قتل من قتله بنو امية وبنو العباس في دولتيهم من اهل البيت وغيرهم مع ان اكثرهم قتلوا بلا حق وبلغ ببعضهم التأول الى أن قال في قتل الحسين انما قتل بسيف جده يريد بذلك انه خرج على الامام وقد امر النبي (ص) بقتل من خرج. وهذه زلة من الزلات صدرت ممن قالها وسبب ذلك كله هو الغلو في الملوك وجعل كل ماصدر منهم شرعا يدان به، وهذا مسلك وخيم لا يرضى به اهل العلم بل يجب ان تعرض أقوال الناس وأفعالهم كائنين من كانوا على ماجاء به الرسول فما وافقه فهو الحق وما خالفه فهو باطل ولو فعله أو قاله خليفة أو امام كبير فلا معصوم الا النبي (ص)

أما قوله ان ماشيده المنتسبون الى السنة من القباب اكثر مما شيده الشيعة فقد يكون صحيحا، والظاهر ان المبتدعين من المنتسبين الى السنة والشيعة في بناء القباب والغلو في المقبورين فيها سواسية، وبدعة القباب ضلالة أتباعها شياطين الجن وشياطين الانس (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون)

﴿ المقام الحادي والثلاثون ﴾ أطال السيد مهدي في لوم صاحب المنار وتعنيفه والنيل منه وليته تجنب ذلك لا لانه لا يجدي نفعا في الحجاج، وانما يوغر الصدور ويكثر به اللجاج. ومن العجائب قوله يحق للشيعة ولكل مسلم أن يعدوا تشييد تلك القبور الشريفة من أعظم القربات لان الجهات القاضية برجحان زيارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته تستدعي اجتماع المؤمنين من سائر الاقطار والكون فيها للصلاة وسائر العبادات وذلك موجب لاعداد محال واسعة حول القبور تكون مجمعا للزائرين وهي تفتقر إلى بناءات فخمة واقية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنفس القبور والفرش التي حولها والقناديل المسرجة ليلا لقراءة القرآن والادعية وحافظة لمن يزور القبور من الحر والبرد والمطر وعواصف الرياح

أقول هذا الكلام فيه منكرات تقشعر منها الجلود، فيا أسفا لصدوره من أحد العلماء المتبوعين في الدين، فانا لله وانا اليه راجعون، وسأختصر الجواب عنه اختصاراً فقد طال الكلام جدا . كيف يكون ما لعن النبي فاعله وأخبر باشتداد غضب الله عليه مباحا فضلا عن أن يكون قربة فضلا عن أن يكون من أعظم القربات ؟ وأما زيارة القبور فهي مشروعة ولا تشد لها الرحال لقول النبي ﷺ « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » ولقوله ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني » ولنهي حسن بن حسن وعلي بن الحسين عن اتيان قبر النبي ﷺ وقد تقدم سندا، ولقول الله تعالى (لا تغلوا في دينكم) وقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) وغير ذلك، ومن وصل قبر نبي أو صالح فليسلم ويدعو لصاحب القبر وينصرف كما كان النبي ﷺ يفعل وكذا أصحابه فلا حاجة الى قبة او فراش ولا قنديل الا من أراد أن يحاد الرسول فيتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد وأعياداً ويتعرض للعنة الله واشتداد غضبه ويتخذ القبور أوثانا فانما حسابه عند ربه وجزاؤه عليه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

متى شرع الله الحج لغير البيت العتيق ؟ ومتى شرع الله الاجتماع للذكر في غير المساجد المأذون فيها؟ ولم يسافر الى قبر نبي أو صالح ؟ ان كان مراده الاتعاظ والتذكرة فهي حاصلة برؤية قبور بلده كفارا كانوا أو مسلمين ، وان كان قصده الدعاء لصاحب القبر فليدع في مكانه والله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سميع عليم. وتقدم حديث نهي النبي ﷺ عن اتخاذ قبره (ص) عيدا ونهي أهل البيت (عم) عن اتيانه للسلام والدعاء فلا حاجة الى القباب ولا منفعة فيها بل فيها مضرة واي مضرة لانها تفق منها يتنزل الى دركات الشرك فالخير والقربة والبر في هدمها وتسوية القبور وتركها كما كانت على عهد النبي ﷺ والخلفاء، وما أحدث الناس بعدهم في الدين الا شرا

﴿ المقام الثاني والثلاثون ﴾ قوله فان بيت النبي وبيوت أهل بيته من اعاظم البيوت التي أمر الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه كما روى السيوطي ما دل عليه في تفسير هذه الآية الكريمة وان تلك البيوت مما يجب احترامها وتعظيمها في حال حياتهم فكذا قبورهم وان تعظيم بيوتهم في حال حياتهم انما هو لوجودهم فيها فكذا قبورهم، لانهم احياء عند ربهم يرزقون.

اقول الاحتجاج بما رواه السيوطي محتاج الى ذكر الاسناد وتصحيح الخبر والسيوطي في الدر المنثور ذكر الخبر المشار اليه وحاصله ان النبي ﷺ فسر قول الله (في بيوت اذن الله ترفع) ببيوت الانبياء فسأله ابو بكر عن بيت علي وفاطمة أهو منها؟ فقال «نعم من افاضلها» وعزاه لابن مردويه بلا سند كعادته ولم يلتزم ان لا يذكر فيه الا الصحيح بل يذكر فيه ما ورد صحيحا كان ام ضعيفا فالاحتجاج به والحال هذه فيه ما فيه، سلمنا انه صحيح فاي علاقة له في مسألة النزاع لان الله لم يقل في قبور اذن الله ترفع ويذكر فيها اسمه. ولا فسرها النبي ﷺ ولا غيره بذلك واكثر المفسرين على انها المساجد وفسرت ببيت النبي ﷺ وببيت علي في الخبر المتقدم وعلى هذا التفسير يكون المراد بالرفع الاحترام وهو ان لا يدخلها احد الا باذن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنو لا تدخلوا بيوت

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النبي إلا أن يؤذن لكم) فدلت الآية على تحريم دخول بيوت النبي ﷺ الا باذنه وتحريم كل ما يؤذي النبي فيها كالاستئناس للحديث، ويلحق ببيوت النبي في ذلك بيت علي وفاطمة وبيوت سائر بناته بل وسائر بيوت المسلمين لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) ولا يخفى ان بيوت النبي وبيوت آله اعظم حرمة من بيوت عامة الناس واي دلالة في ذلك على جواز البناء على القبور والصلاة عندها وقد امتثل الصحابة ما امروا به من تعظيم بيوت النبي ورفعها ولم يبن أحد فيها قبة ويقصدها للصلاة والدعاء ولا امرهم النبي ﷺ بذلك ولا فعلوه بعد وفاته؟ فعلم أن تعظيم بيوت النبي وآله لا يكون ببناء القباب والصلاة والدعاء فيها وانما يصلي فيها أهلها ومن أذنوا له في دخولها اما تحري الصلاة فيها كالمساجد فلم يشرع لا في حياتهم ولا بعد مماتهم ولو سلمنا ان تحري الصلاة والدعاء مشروع في بيوت النبي وآله ما دل ذلك على مشروعية الصلاة والدعاء عند قبورهم وقياس قبورهم على بيوتهم في مشروعية الصلاة والدعاء فاسد لانه مصادم للنصوص الناهية عن اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد ولانه قياس مع الفارق فان البيوت يستحب لاهلها أن يتخذوا فيها مساجد كما تقدم في حديث عائشة والقبور ليست كذلك والبيوت يستحب لاهلها أن يجعلوا فيها نوافلهم أو شيئا منها كما تقدم في حديث « لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا » ولا كذلك القبور فان الصلاة عندها محرمة وان قصد بها التبرك والتعظيم كانت أحرم، وأيضا البيوت ينتفع بها غير أهلها ولا كذلك القبور والبيوت يجلس فيها وتوطأ باذن أهلها وتبنى وتشيد بخلاف القبور، وكون الانبياء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والشهداء احياء في قبورهم لا يقتضي جواز اتيانهم للصلاة والدعاء والنظر إلى وجوههم وسؤالهم وتلقي العلم منهم والشكوى اليهم من أفعال الكفرة والمنافقين والظلمة والتحاكم اليهم وسؤالهم أخذ الحق من الظالم وتغيير المنكر وغير ذلك مما هو مختص بالحياة الدنيوية. وقد ورد أن الناس يأتون الانبياء واحدا بعد واحد يسألونهم الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة لانهم حينئذ يرونهم ويسمعون كلامهم كما في الحياة الدنيا بخلاف الحياة البرزخية فلا يجوز ولا يمكن ذلك فيها ولذلك لم يشرعه الله تعالى ولا فعله السلف الصالح ولا من تبعهم باحسان وبقية كلام السيد مهدي يفهم جوابه مما سبق

وليكن هذا آخر ما اكتب في الحكم بهذه القضية راجيا أن يكون مقبولا عند الله والمؤمنين ، وأسأل الله أن يشرح صدور من كتبوا في هذه القضية جميعاً إلى اتباع ما أنزل الله على رسوله بلا تغيير ولا تبديل ، وأن يجمعنا واياهم على الهدى ، وينزع ما نزغه الشيطان في صدور المسلمين من الغل ، حتى يكونوا كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد فيحب كل منهم لاخيه مايحب لنفسه ، ويغفر لنا ماطغى به القلم (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا) الى آخر السورة وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

قال كاتبه محمد بن عبد القادر الهلالي عفي الله عنه كتبته في مدة يسيرة وأنا مشغول البال بالتأهب للسفر الى الحج يسره الله على أحسن حال ، ومكتنف بأشغال وافرة وكل ذلك يمهد لي سبيل المعذرة عند من يقف عليه من الافاضل فيغضي عما فيه من القصور والتقصير (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر الله عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

كتاب يسر الاسلام، واصول التشريع العام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا بالقرآن هذا الدين، وختم بمحمد صاحب الرسالة العامة دولة النبيين، وجعله المثل البشري الاعلى للهداية الالهية العليا وارسله رحمة للعالمين، وبعثه بالحنيفية السمحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك؛ وجعلها يسرا لا عسر معه، وسعة لا حرج فيها، فبلغ صلوات الله وسلامه عليه الرسالة، وأدى الامانة، وبلغ عنه اصحابه ما أمرهم بتبليغه من كتاب الله تعالى بالتلاوة والحفظ والكتابة، ومن سنته في بيانه للناس بالقول والعمل، والحكم بين الناس بما أراه الله من الحق والعدل، (رضي الله عنهم ورضوا عنه، اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون)

تلقى العرب الاميون كتاب الله وسنة رسوله (ص) في بيانه بالقبول، اذ لم يكن لديهم فلسفة دينية يحكمونها في دين التوحيد والفضيلة، بعد ان اجتث الله به شجرة الشرك الخبيثة، ولا كان لديهم تقاليد تشريعية يعقدون بها شريعته العادلة النقية، فسهل فهم الشعوب والامم له منهم، وتلقوه بالقبول عنهم، فلم يلبث الالوف من مواليهم الاعاجم منذ العصر الاول والثاني ان حذقوا لغة هذا الدين ففهموا كتابه المنزل، وشاركوا اساتذتهم العرب في نشر الدعوة،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتدوين اللغة والسنة ، ثم فيما استلزم ذلك من فتح الامصار ، ونشر دين الله في الاقطار ، فانتشر الاسلام في الشرق والغرب بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ ، فبلغ ملكه في جيل واحد مالم يبلغه ملك الروم (الرومان) في ثمانية قرون ، فكانوا أعظم دول الفتح والاستعمار في الارض ، واشدها مراعاة للرحمة والعدل

ثم نجمت قرون البدع في المسلمين ، ودخلت عليهم فلسفة الامم وتقاليد الملل من أقطارها ، واحتاجوا الى التوسع في التشريع المدني والقضائي والسياسي فوضعوا علم الفقه بداعية حاجة الحكام ، وعلم الكلام لحراسة العقائد من البدع ونظريات الفلسفة المختلفة ، فاختلط بعقائد الاسلام واحكامه العملية ما ليس منها ، وخرجت تعاليمه من فضاء السهولة والبساطة واليسر ، الى مضايق الحزونة والتعقيد والعسر ، اذ كان الاعرابي في عهد النبي (ص) يتعلم من عباداته الشخصية في مجلس واحد مايكون به مسلما ، فصار يتعذر على المسلم الناشيء بين المسلمين ، ان يتعلم مذهبه الديني الموروث في عدة سنين ، لان الاحكام كثرت باقيسة المذاهب وتفريعاتها ، وعسر فهمها بضعف لغة المصنفين لكتبها ، فضاق ذرع الامة بها ، وانحصر الطالبون لتحصيلها في عدد قليل من أهل الامصار يطلبها أكثرهم لاجل الدنيا لا لأجل الدين ، فزال بذلك ما ذكرنا من مزايا الاسلام القطعية التي كان بها على أكمله قبل أن يكتب شيء من المصنفات ، ففي الخبر المتفق على روايته مرفوعا المجمع على معناه « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »

ثم انتقل المسلمون من طور الى طور ، وركبوا طبقا عن طبق ، بعضهم ينتقد هذه الكتب الكثيرة ويقول إما أن يكون جلها ليس من الدين ، واما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يكون الدين نفسه غير حق ، وبعضهم لا يزال يقول إن ماهو مقرر فيها هو دين الله لا مندوحة لمسلم عن اتباعه والا كان خارجا من هذه الملة . حتى انتهت حال بعض حملة العمائم ، وسكنة الاثواب العباعب ، الى أن يقول ان من يهتدي بالكتاب والسنة من دون كتب المذاهب الفقهية والكلامية فهو زنديق ، وكان لهؤلاء الجامدين الجاهلين مكانة عند الحكام وعند جمهور الامة تخشى بها غائلة مخالفتهم فزال ذلك رويداً رويداً وهم لا يشعرون ، حتى إذا لم يبق منها إلا القليل في بعض البلاد (كمصر) بعد أن زال من بلاد أخرى وزال بشؤمه الدين كله من دواوين حكومتها ومحاكمها ومدارسها (كبلاد الترك) طفق بعضهم يشعر بالخطر على البقية الباقية من ظواهره ماثلة على شفا جرف ، ولكنهم لا يدرون كيف يخرجون من جحر الضب كما يخرج هو عند الخطر

قد أنذر دعاة الاصلاح هؤلاء العلماء الرسميين هذا الخطر الذي هو عاقبة ضرورية لجمودهم على تقاليدهم فتماروا بالنذر ، وكان لنا في المنار جولات تفصيلية في بيان ذلك أسبابا ومسببات ، وعللا ومعلولات ، ونتائج لمقدمات ، مؤلفة من اليقينيات أو المسلمات .

ولما كان أصل الداء ، والمانع من قبول كل علاج له ودواء ، هو التقليد الاصم الاعمى للكتب المألوفة لا للائمة ، بدأنا تلك الحملات والجولات بتلك المحاورات التفصيلية التي نشرناها في المجلد الثالث وما بعده تحت عنوان (محاورات المصلح والمقلد) وعرضناها للنقد فلم يرجع الينا أحد في تفنيدها قولا ، ولم يكتب لنا أحد في نقدها فصلا ، بل حازت القبول فطبعت وحدها مرة بعد أخرى

ثم كان من أوسع ما كتبناه في هذا الموضوع تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الخ والفصل الاستطرادي الذي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جعلناه علاوة لتفسير الآيتين الكريمتين، فالقارئ لذلك يرى فيه من الآيات المنزلة والاحاديث الصحيحة، ومن مدارك أساطين علماء الملة وأئمتها من الاولين والآخرين، ماهو حجة على الجامدين من المقلدين، وعلى الملاحدة والزنادقة والمعطلين، وعلى المحرفين والمسرفين من المستقلين، كما أنه برهان مبين، لدعاة الاصلاح المعتدلين، ولا يزال هؤلاء هم الاقلين، (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين* و (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)

كنا نعد فرق المسلمين الذين يتنازعون أمر الامة في هذا العصر ثلاثا:

(الاولى) دعاة تقليد الكتب المدونة في المذاهب المتبعة من سنية وشيعة زيدية وشيعة امامية وأباضية. وحجتهم أن علوم الشريعة المودعة في الكتاب والسنة إجمالا وتفصيلا قد انحصرت فيها فمن لم يأخذ بمذهب منها فليس على ملة الاسلام، دع مايرجح به كل منهم مذهبه على غيره.

(الثانية) دعاة الحضارة المصرية، والنظم المدنية، والقوانين الوضعية الذين يقولون إن هذه الشريعة الاسلامية المدونة لا تصلح لهذا الزمان، ولا يمكن أن تصلح بها حكومة، ولا تستقيم بها مصالح أمة، فيجب تركها، واستبدال قوانين الافرنج بها، أو استقلال كل قوم أو شعب من المسلمين كغيرهم بتشريع جديد يوافق مصالحهم، وإلا كانوا من الهالكين. ومن هؤلاء من يرى من مصلحة قومه وبلاده المحافظة على مهمات شعائر الاسلام وما لا ينافي المدنية من خصائصه الاجتماعية والادبية، ومنهم من لا يرى وجوب ذلك، وهم درجات اودركات في هذه المسائل، منهم المسلم المتأول، والزنديق المجاهر أو المستكتم،

(الثالثة) دعاة الاصلاح الاسلامي المعتدلين الذين يثبتون انه يمكن احياء الاسلام وتجديد هدايته الصحيحة باتباع الكتاب والسنة الصحيحة وهدي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلف الصالح ، والاستعانة بعلوم أئمة المذاهب كلها بدون التزام شيء معين من كتب الفقه والكلام المذهبية الذي جمد عليها الفريق الاول . وأنه يمكن الجمع بينه وبين اشرف أساليب الحضارة والنظام وهو ما ينشده الفريق الثاني . بل يرى هؤلاء أن ما يدعون اليه - وهو أقدم هداية الدين وأحدث وسائل الحضارة والرقي - صديقان يتفقان ولا يختلفان ، وان كلا منهما يزيد الآخر قوة وشرفا ، فدين العصر الاول للاسلام ينفي خبث المدنية المادية الحاضرة وينقي قلوب أهلها من الرجس ، وينقذهم من فوضى الحرية البلشفية ، واخطار الفلسفة المادية ، ويزكي انفسهم من الظلم والفسوق والعصيان ، كما ان علومها وفنونها الصحيحة تظهر من إعجاز القرآن ، ومن آيات الله في الاكوان ، ما يكمل به الايمان ، ويوجه قوى هذه العلوم الى العمران ، وإصلاح نوع الانسان ،

ثم تولد من بين هذه الفرق اناس مذبذبون بين كل منها
لا الى هؤلاء ان نسبوهم وجدوهم ولا الى هؤلاء

يذمون التقليد ويدعون الاجتهاد ، ويزعمون انهم من دعاة الاصلاح وما هم الا دعاة افساد ، ولكنهم متقنعون بما أوتوا ، راضون بما أتوا (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون * ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

أولئك الذين يدعون الاستقلال في علم الكتاب والسنة ، والاجتهاد المطلق في أحكام الشريعة ، وهم لم يعدوا لذلك عدته ، ولا سلكوا الاحب طريقته ، لم يحفظوا القدر الكافي من مفردات اللغة العربية ، ولم يطبعوا على سليقة البلاغة المضرية ، ولم تستحكم لهم ملكة البيان بالتمرس والصناعة ، ولا حذقوا قواعد الاصول ، ولا مرنوا على مدارك الفروع ، ولا جمعوا بين حفظ النصوص وقوة استحضارها عند عروض الحاجة اليها ، وانما قصارى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أحدهم ان يقرأ تفسير اية او شرح حديث فيعجبه ما فهم منه ، ويغتر بما عساه يخطر بباله انه انفرد به ، مما شأنه ان يقع للعامي والخاصي ، وان يكون تارة صوابا وتارة خطأ . ومن شاء منهم ان ينصف نفسه بامتحانها في دعواها ، فليكتب كتابا او رسالة طويلة في بعض المباحث الاجتهادية التي يظن انه انفرد بها ، من غير أن يراجع فيها الكتب وينقل عن العلماء ثم لينشرها على أهل العلم ولو كانوا ممن لا يدعون دعواه ويعرضها على نقدهم ثم لينظر قيمتها بعد نقدهم اياها . على ان الصواب في مسالة واحدة من هذا القبيل أو مسائل معدودة لا يدل على ملكة الاجتهاد المطلق ، فالاجتهاد يتجزأ

من هؤلاء الادعياء في العلم ، المغرورين بالفهم ، من هم اشد إحالة ليسر الشريعة الى العسر وسعتها الى الحرج من مقلدة كتب الفقهاء وغيرهم ، ومن هم أجرأ على شرع ما لم يأذن به الله ، وعلى القول على الله ما لا يعلمون ، هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إيمان ، وهذا بدعة وتلك سنة . وهم في كل ذلك مفترون على الله وشارعون لما لم يأذن به الله ، وما أسهل ذلك على الغلاة في الدين ، ولا سيما تحريم ما حرموا من زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وما جهلوا من العلوم والفنون والصناعات التي عليها مدار سيادة الامة ومعايش الخلق .

ومنهم من يعتدي حدود اليسر الى ما هو أدنى الى الاباحة المطلقة ، ويتأول النصوص بما تتبرأ به مفردات اللغة وأساليبها . حتى يكون كزنادقة الباطنية او اشد تحريفا وتبديلا . ومن هؤلاء من لا يحتج الا بما يفهمه هو من نصوص القرآن فيرد الاخبار النبوية كلها . ومنهم من يرد ما لا يعجبه منها . ويستدل على ذلك بان معناها غير صحيح (عنده) ، فلا يمكن اذا ان يكون النبي (ص) قاله .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتجد على الطرف المقابل لهؤلاء ممن يدعون مذهب السلف وينظمون انفسهم في سلك اهل الحديث أناسا يأخذون بظواهر كل ماروواه الرواة من الاخبار والآثار الموقوفة والمرفوعة، اوالتي لم توصف بأنها موضوعة اومصنوعة، وان كانت شاذة او منكرة او غريبة المتن، او من اسرائيليات مثل كعب ووهب، أومعارضة بالقطعيات التي لا يعرفونها من نصوص الشرع، اومدركات الحس ويقينيات العقل، ويكفرون أو يفسقون من أنكرها اوخالفها.

فالجامدون على تقليد ظواهر كتب الفقه والكلام، كالجامدين على ظواهر كتب الاخبار والآثار، كل منهما فتنة منفرة للواقفين على علوم هذا العصر عن الاسلام، لانه يتوقف عند كل منهما على ما ليس منه مما تقوم على بطلانه البراهين القطعية، أو المشاهدات الحسية، أوسنن الله المطردة في الاكوان، أو النظام الذى يتوقف عليه العمران، دع نظريات التشريع المجربة، ومسلمات التاريخ المؤيدة بعلم طبقات الارض وغير ذلك، تلك العلوم كلها تعد عندهم من علوم الكفار المحرمة فلا يعتد بشيء منها. وهم عاجزون عن إقامة أي حجة، أو دحض أي شبهة. ومن جهل شيئا عاداه، ولا سيما اذا عد جهله نقيصة له

كذلك المتبعون لاهوائهم في دعوى الجمع بين الاسلام والرقي المدني، هم منفرون للسواد الاعظم من هذه المدنية وعلومها وفنونها وصناعاتها، لانه يعز عليها مايراه من جحد بعضهم للسنة النبوية بجملتها وتفصيلها. وزد بعضهم السنن القولية منها، وإنكار بعضهم لما لا يوافق رأيه وهواه منها، وتصدي بعضهم لتأويلها وتاويل القرآن نفسه بما تتبرأ منه مفردات اللغة وأساليبها، واجماع الامة الاسلامية وسيرة سلفها. ومن أحدث ما كتبه أدعياء القرآن إنكار مصري لحل التسري ومايتعلق به من الاحكام الثابتة فيه وفي السنة العملية والاجماع المتواتر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وزعم هندي منهم أن الصلوات المفروضة فيه ثلاث لا خمس وكل منهما يحرفه كتحريف الباطنية أو أشد دع القاديانية الذين يدعون نزول الوحي عليهم وامثالهم

طلاب الاصلاح الصحيح يريدون توحيد الامة وقد زادها كل فريق من هؤلاء تفريقا، طلاب الاصلاح الحق يبغون أن تكون كما وصفها الله تعالى أمة وسطا وهؤلاء يجذبها كل منهم الى طرف من محيط الدائرة إفراطا وتفريطا، هذا يريد دينا بغير حكومة اسلامية ذات سيادة وعزة ، ولا حضارة علمية فنية ولا قوة آلية ، وهذا يريد دنيا بغير دين ينهى عن الهوى، ولا سياج للفضيلة والهدى، وهذا يتخبط بين الفريقين لا يدري ما يريد ولا ما يبدىء ويعيد، وكل أولئك في ضلال بعيد، (فمن الناس من يقول: ربنا آتنا في الدنيا ومالة في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب)

هؤلاء هم المصلحون المعتدلون طلاب المنهج الوسط ، وقد أشرنا اليهم هنا وبينا حالهم ومذهبهم فيما سبق، تارة في تفسير بعض الآيات ، وتارة بالمحاورات والمناظرات ، وتارة بانشاء الفصول والمقالات ، وتارة بالفتاوي في الاسئلة والمشكلات .

وقد نشرنا من قبل بعض هذه المباحث في كتاب سميناه (الوحدة الاسلامية) وفي كتاب آخر سميناه (الخلافة أو الامامة العظمى) وننشر اليوم بعضها في هذا الكتاب الذي سميناه (يسر الاسلام، وأصول التشريع العام) فعسى أن تكون هذه الكتب مؤيدة ومعممة لدعوة المصلحين المجددين ، الداعين إلى صراط الله المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحجة على الجامدين الميتين ، وعلى الشذاذ المسرفين ، المتبعين لسبل الشياطين ، والله ولي المؤمنين ، والعاقبة للمتقين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتاب آخر جوابي من سعد زغلول

إلى شيخه ومربيه الاستاذ الامام

عقب نفيه الى بيروت في أثر الحوادث العرابية

مولاي الافضل ، ووالدي الاكمل ، أحسن الله مآبه

أكتب إلى السيد الاستاذ بعد تقبيل يده الشريفة عن شكر مزيد لمكارمه التي لم يمنع من تواترها على صنائعه تباعد الديار ، ولا تنائي البلدان ، معترفا بالعجز عن وفاء واجب الحمد ، مع الاعتقاد بأن هذا لا يثنيه عن المكرمات يوليها ، والمبرات يسديها ، فما يفعل الخير الناس الثناء ، ولا يصدر البر ابتغاء الجزاء ، إنما يحسن محبة في الاحسان ، وبر شفقة بالانسان

تفضل ادام الله فضله على خريج حكمه ، الناشىء في نعمه ، بكتاب هو المحكم آياته ، المعجز دلالته ، الشافي لما في الصدور ، الكاشف لحقائق الامور ، الهادي الى سبيل الرشد والى صراط مستقيم ، فسر لمرآه ، سرور العليل بالشفاء وافاه ، وتلاه متدبرا دقيق معناه ، مكررا رقيق مبناه ، فازداد إيمانا بفضل مولاه ، ويقينا بحكمة من اوحاه ، وشكر الله على صحة من اهداه ، دامت نامية وارفة الظلال ،

وتكرم ابقى الله كرمه ببيان بعض اسماء الكملة الكرام الذين دارسوه فصولا من المروءة وابوابا من النجدة ، وما لهم من كمل الفضل ، وما فيهم من تمام العقل ، فرسمنا اسماءهم على صفحات القلوب ، وحفظنا امثلة فضائلهم في الصدور ، وتشوقنا لان تتشرف أبصارنا برؤياهم ، كما تحلت بصائرنا بمعرفة اعلامهم ومزاياهم ، وما يحتاج في اقناع النفوس بضعف تلك الحجة وان كانت تمكنت في الاذهان إلى قوة البيان ، فمعرفتهم بمقام فضله ، ومقدار حكمته ونبله ، كافية بذاتها في الدلالة على نزاهة نفوسهم ، وطهارة قلوبهم ، وغزارة فضلهم ، وسمو عقولهم ، ورجاحة همهم ، وسجاحة شيمهم ، وفي توجيه ما ثبت من الفساد في اخلاق غيرهم الى اسباب أخرى نود ان يبينها الاستاذ الجليل في كتاب مخصوص اذا وجد من الوقت مساعدا ، انما نحتاج الى قوة البيان في هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضوع لنتبين كيف يكون تدارس المروءة بين الافاضل، وتداول النجدة بين الكرام الاماثل، فما رايتنا[1] من قبل لدينا الا فاضلا كريما يدرس الفضائل بين من لا يعرفون للفضل مقدارا، ولا يفقهون للكرامة اعتبارا

ولقد زادني ميلا في السفر، وبغضا في الحضر، ما جاء في وصف أولئك الاماجد ذوي النفوس الزكية، والمحامد العلية، وما تلاه من بيان حقيقة غوازي الامم، ساقطي الهمم، سافلي القيم، جاهلي مقادير النعم، غير اني عدلت عن داعية هذا الميل امتثالا للامر، وفي النفس حسرات لا يقاومها صبر، وبها الى السفر اشواق لا يتناولها حصر

واحسن خلد الله احسانه على صنيع آدابه، اليتيم في اترابه، بحكم من مثل التي تعودها غذاء للعقل، ونورا للفكر، فتلقاها بقلب شاكر، وتقبلها بفؤاد حامد، وحفظها في الوجدان، راجيا من الله التوفيق الى الاخذ بمعانيها، والهداية الى اتباع ما فيها، آملا من مكارم مولاها، دوام تواليها

اسفت بل خجلت مما بلغ المقام الشريف عن الشيخ عبد الكريم الفاضل[2] ثابتا صدقه بشهادة من سئلوا من الصادقين، ولولا التحقق من سعة بال الاستاذ الكريم، ومن وثوقه بي فيما ارويه لكان الاسف مضاعفا

إني كما تعلمون كثير الاجتماع بهذا الشيخ وما سمعت منه ما يقصد به مس مقامكم الكريم، ولم يتكلم امامي يوم ان بلغه خبر الاعتراف باليمين المعروف الا بما معناه الاسف والاشفاق من عاقبة هذا الاعتراف، فلعل ما بلغ المسامع الشريفة من هذا القبيل، والسامعون لشدة حرقتهم وبلوغ الاسف من فؤادهم مبلغه، انصرف

---

(١) الكلمة في الاصل هكذا (رايتنا) ولعل المراد فما رأيناك الخ والخطاب للاستاذ الذي بعث الفضيلة بالعلم والعمل في جماعة نكثوا عهده وخانوا وده ووشوا به عند الشدة

(٢) ذكر لي الاستاذ الامام رحمه الله أيام غضب الشيخ عبد الكريم سلمان على أنه كان بلغه في اثر الفتنة العرابية انه طعن فيه يتبرأ من كونه من حزبه فكتب في ذلك كلمة في كتاب لآخر - أظنه سعدا قال: وأما ذلك الشيخ الذي اكننته كني وأدنيته مني وجعلته في مكان النحو من ابن جني فهو يصرح بسبي ولا يكني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاطرهم عن رعاية مقام القول فتوجه ذهنهم الى مفهوم الكلام الحقيقي ، وطبقوا المقام على ما فهموه ، ولهم العذر ، فهم لم يتعودوا سماع كلام مثل هذا في جانب حضرتكم ولو مرادا به غير حقيقة معناه ، ولم يألفوا تأويل العبارات وصرفها عن ظواهرها ، ولم يعرفوا عادة ذلك الشيخ في كيفية تأدية مراده ، والعبارة في حد ذاتها يصعب تأويلها الى غير المتبادر للافهام منها كل الصعوبة على من لم يكن ازهريا متمرسا من الشيخ سماع اعظم منها مفهوما واشنع تركيبا

وكيف يتأتى له ارادة الظاهر مع علمه بكون ذلك لا يصدر الا عن لؤم طبيعة وخراب ذمة وسفاهة عقل ؟

انسي ما اوليته من كرائم النعم ، وجلائل الامم (؟) التي لا يزال متمتعا بها متفيئا ظلالها ، وانك لتؤرق اسفا المحترق حزنا المشفق عليه يوم وجدت اسمه مكتوبا في تقارير اللئام ، حتى شغلك همه عن همك ، وسعيت وانت مسجون في تنجيته من التهمة بواسطة المحامين

ما نسي كل هذا وما قدم العهد عليه حتى ينقض ولاءك ، ويبتكر هجاءك ، ويمس مقامك ، في بيت اواه ، ومنزل طالما رتع في بحبوحة نعماه

فهذه العبارة ان صح النقل لا يمكن ان يكون المراد بها شيء وراء إعلان الاسف والاشفاق ، اما كونه لم يرسل خطابا فمولاي يرى انه من الادلة الصادقة على كون ذلك الشيخ الفاضل صادقا في ولائه ، حريصا على دوام تذكر أولياءه ، اذ لم يدعه الى ذلك الا تمام رغبته في المحافظة على النعمة التي غرستم أصولها ، واتممتم فروعها ، ليكون على الدوام متذكرا لحقيقة مبدئها ، متصورا صورة منشئها

أما كتاب الشيخ محمد خليل فقد علمت ما في ارسال صورته من (حسن التعليل) وكمال التلطف في التأديب ، على ما جرت به عادتكم الشريفة وقد طالعت هذه الصورة فرأيت أنها من أقوى الادلة على شدة ميل صاحب الاصل الى الصدق ورغبته عن التمويه ، حيث اوضح حاله صادرا في الايضاح عن الحق برهانا على شدة اخلاصه باثبات العبارة التي نفيتها بين يدي حضرتكم في الدائرة

فان إثباتها لا يصدر الا عن تمام اخلاص لا يشوبه تمويه ومن هنا يتبين لحضرتكم سلامة نيته وحسن طويته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما عنوان الجواب فما أداه الى نسجه على ذلك الاسلوب الا اعتماده على معرفتكم بكونه من الصادقين المعظمين لجنابكم الكريم. وعلى كل حال فنحن لا نستغني عن كريم عفوك، وجميل صفحك، فان لم تعف عنا وتصفح كنا من الخاسرين

إن ظنكم فيما رأيتموه في جريدة البرهان هو الموافق للصواب، وبحق لحضرتكم السرور بما نال ولدكم [1] فهو المتربي في نعمتكم، المغترف من بحار حكمتكم، المحفوف بعنايتكم، المشمول بعين رعايتكم، البالغ ما بلغ ويبلغ من مراتب الكمال بحسن توجهاتكم، وكريم تعطفاتكم، أدامكم الله لكل خير مبدأ

رفعت تحيتكم إلى حضرات من ذكرتم أسماءهم وأشرتم اليهم فتقبلوها بالاحترام وهم جميعاً يقبلون يديكم، ويسلمون عليكم، وأخص منهم بالذكر منبع الصفا ومصدر الوفا، الذاكر لفضائلكم في كل حين، والدي حسين أفندي. وحضرة ولدكم الصادق في متابعتكم الشيخ عامر اسماعيل الذي امتن غاية الامتنان بما اختصصتموه به في كتابكم الشريف وحضرة الشيخ سليمان العبد والسيد أمين افندي

ونحن جميعا نرفع أحسن التحيات وأزكاها لحضرات الكرام الذين تشرفنا بمعرفة أسمائهم من الذين دارسوكم فصول الكرامات، ونقدم لهم واجبات الاحترام، أدامهم الله مثالا للفضل وعنوانا للكمال. ونسلم على حضرات أخينا الفاضل ابراهيم افندي اللقاني وابراهيم افندي جاد ونجلكم الكريم وجميع من بمعيتكم حفظهم الله

أحوالنا العمومية أنتم أعلم بها منا فلا حاجة إلى بيانها. نرجو اتفصيل أحوالكم وما تشتغلون به من قراءة وتأليف اذا حسن لديكم ذلك

كتب سامي لم تشهر إلى الآن في المزاد، ولا زلت مراقبا لاشهاره.

حضرة البيك صاحب الكتاب توجه قبل ورود كتابكم الى البلد ولم يحضر الى الآن. وعند العلم بحضوره أتوجه اليه وأرفع لحضرته مزيد تشكراتكم دامت معاليكم. أفندم؟ في ٨ جا سنة ١٣٠٠ صنيعكم — سعد زغلول

أرجو عدم انقطاع المراسلات وأتمنى أن لا أحرم كل أسبوع من كتاب تطمينا للخاطر وترويحا للفؤاد، ولمولاي في اجابة هذا الرجاء النظر العالي؟ (سعد)

(١) يعني سعد نفسه وأظن أن الخبر المشار اليه هو اشتغاله بالمحاماة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اقتراح ابطال الاوقاف الاهلية

ومكان الدين من الدولة المصرية في قسميها التشريعي والتنفيذي

اضطربت هذه البلاد اضطرابا عظيما لاقتراح أحد أعضاء مجلس النواب وضع قانون تلغى به الاوقاف الاهلية ، ويحرم انشاء شيء منها في المستقبل ، لما فيها من المفاسد الاقتصادية وغيرها ، فكان الناس في هذا الاقتراح فريقين : فريقا يود ذلك لان في أيديهم أعيانا من هذه الاوقاف يريدون أن يتصرفوا فيها تصرف المالكين فتكون لهم دون من بعدهم ، ويؤيد هذا الفريق زنادقة المسلمين ودعاة الالحاد في هذه البلاد وكل من يحب من غير المسلمين ابطال حكومتها لكل ما بقي من التشريع الاسلامي فيها — وفريقا لهم منافع في بقاء هذه الأوقاف على حالها ويؤيدهم جمهور علماء الشرع ومن يؤلمهم التعدي على التشريع الاسلامي أن يكون مباحا للبرلمان فيتصرف فيه برأي اكثرية أعضائه ، فيكون تشريعه فوق الشرع المستند الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو اجتهاد أئمته ، وهذه الاكثرية قد تحصل بمن لا يدينون بالاسلام من ملاحدة وكتابيين فان من هؤلاء الملاحدة من صرحوا حتى في بعض جلسات النواب الرسمية بردتهم عن الاسلام وطعنهم في القرآن لانه يخالف مدنية أوربة في إباحة تعدد الزوجات وغير ذلك

كتب كل من الفريقين مقالات كثيرة في الجرائد يؤيد فيها رأيه بأدلة من الشرع والقوانين والمصلحة العامة ، ولا يعدم الفريق الاول شيئا منها ، فان في هذه الاوقاف من المفاسد ما لا يجيزه شرع الله بنص صريح ، ولا باجتهاد صحيح على ما فيه من المفاسد الاقتصادية . وكثر إلحاح اناس من الفريقين عليّ أن أكتب في تحقيق الحق في المسألة ما يعهدون أو يعتقدون من فصل الخطاب في أمثال هذه المشكلات كمسألة الخلافة وغيرها ، فكنت أقول لكل مقترح ان لدى كل فريق صوابا وخطأ ، وحقا وباطلا ، وضارا ونافعا . وان الاوقاف الخيرية المسكوت عنها الآن كذلك ، فيها أوقاف باطلة مخالفة لاصول الشرع وفروعه ، وفي التصرف فيها مثل ما في التصرف في الاوقاف الاهلية من المفاسد والمضار ، وتمحيص القول في هذا الباب كله وتحقيق الحق فيه من كل وجه لا يمكن إلا بتأليف كتاب ككتاب (الخلافة — أو الامامة العظمى) ولو كان البرلمان المصري والحكومة يأخذان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بما يقوم عليه الدليل الاقوم وتظهر فيه المصلحة العامة لتركت جل أعمالي وتفرغت لذلك ، ولكن لا سبيل الى هذا ولا سبيل الى إقناع أهل الشأن به ،

على أنه قد وضح من مجموع ما كتب الكاتبون أن للوقف أصلا في الشرع الاسلامي ثابتا بالنص والعمل المتواتر من العصر الاول الى اليوم فلا يمكن ابطاله باجتهاد مجتهد متقدم ولا متأخر . وأن سوء التصرف فيه وكون بعضه مخالفا لمقاصد الشرع أو ما يعبر عنه بروحه وهو مناط التشريع وبعضه مخالفا للنصوص أيضا بحيلة شرعية أو بآراء فقهية — فهو واقع لا مراء فيه ، فقلما يوجد وقف أهلي أريد به القربة ومرضاة الله تعالى التي هي الاصل فيه ، وما عساه يحلى به مما صورته الخير فمنه ما هو شر ومنه ما يحول بسوء التصرف إلى شر وفساد ، ومن ذلك ما يوقف على تشييد القبور وتجصيصها وتزيينها ووضع المصابيح عليها وحمل الاطعمة اليها في الاعياد والمواسم المبتدعة أو المبتدع فيها وغير ذلك ، فلما يوجد في شيء من ذلك شيء مشروع يرضاه الله تعالى فالوقف عليها باطل كالوقف على بعض الوارثين لحرمان الآخرين

ولكن سوء التصرف والاستعمال ليس مقتضى للشرع في ذلك ولا لازما من لوازمه حتى يقال انه يجب ابطاله بابطال مقتضيه وملزومه فان المبطلين والاشرار يسيئون التصرف بجميع النعم الفطرية والكسبية : يسيئون التصرف بمداركهم العقلية وبحواسهم وقواهم كلها ، ويسيئون التصرف بأموالهم وبمعاملة أزواجهم وأولادهم ، وبالقوانين والعلوم والفنون والصناعات ، فالواجب على أنصار الحق وأهل الخير من أولي الامر والحكم أن يمنعوا سوء التصرف بالشرائع والقوانين وبالقوى والمشاعر وبالنعم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا كما يجب على العلماء أن يبينوه للناس

الدين في الدولة المصرية

فأول ما أنكره ويوافقني على إنكاره كل مسلم يعرف دينه ويغار عليه أن هذا البرلمان المصري لا يجوز أن يعطى من حق التشريع ما ينسخ شيئا من شرع الله الثابت بنص الكتاب أو السنة الصحيحة التي جرى عليها عمل سلف الامة أو باجماع الصحابة رضي الله عنهم ليس للقانون الاساسي أن يعطي هذا الحق وهو يعترف بان دين الحكومة الرسمي هو الاسلام

وأما ما دون ذلك من مسائل الفقه الاجتهادية فلأولي الامر أن يتركوا منها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماضعف دليله، أوضر فعله، أوكان منافيا لمصلحة الامة العامة، فان مخالفة مثل هذا من اجتهاد الفقهاء لا ينافي الاسلام

وقد آن لهذه الحكومة الدستورية أن تفرق بين نصوص الاسلام القطعية من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وبين اجتهادات أئمة الفقه الظنية فتعلم أن الاول لا بد من الاعتراف به لمن يدين الاسلام، وان الثاني تحكم فيه الأدلة ومنها مراعاة مصلحة الامة والا كان نص القانون الاساسي في كون دين الدولة هو الاسلام لغواً كما كان في قانون الجمهورية التركية.

وقد ظهر بهذه المسألة ومسألة ما اقترحته الحكومة من اصدار قوانين ببعض أحكام الزوجية من نكاح وطلاق ونفقة وفسخ عقد وتطليق حاكم - أن بعض علماء مصر لا يرضيه من الحكومة الا أن تتقيد بتقليد ما قرر اعتماده في كتب الفقه المشهورة في الازهر على مذاهب الفقهاء الاربعة المشهورة، بل يوجب عليها بعض الحنفية منهم التقيد بمذهبهم وحده، وان كان بعض المذاهب الاخرى أقوى منه دليلا وأقوم مصلحة وأيسر في التعامل. وأن بعضهم يقول بوجوب النظر في أدلة الاحكام واتباع الاقوى والاصلح منها. فعلى الحكومة أن تؤلف مجلساً شرعياً من الفريقين يكون من أعضائه شيخ الازهر، والمفتي الاكبر، ورئيسا المحكمة الشرعية الكبرى والعليا وبعض المشتغلين بالتفسير والحديث وآثار السلف. وتطرح على هذا المجلس ما تحتاج الى معرفة حكم الشرع فيه، وتعتمد ما تقوم الحجة على أنه الحق، الموافق لما ثبت بنصوص الكتاب والسنة القطعية من يسر الشرع، وتقرر في نظام هذا المجلس أنها مقيدة من الاسلام بالمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة الذي أجمعوا على تكفير جاحده ولا تقيد بغير ذلك من المسائل الخلافية بل تتبع فيها الاصح والاصلح.

اقترح بعض النواب في مجلسهم الغاء منصب المفتي الرسمي لاجل الاقتصاد المالي، وليس راتب المفتي وكاتبه ونفقة مكتبه بالشيء الذي يعد كثيراً على الحكومة المصرية الغنية المسرفة التي يمكن إدارة جميع أعمال وزاراتها ومصالحها بنصف ما تنفقه عليها أو أقل من نصفه وانما الذي صار يثقل على كثير من النواب أن يكون لهذه الحكومة مظهر للشرع الاسلامي مثل مظهر المفتي الاكبر، ما أشد جهل هؤلاء المسلمين الجغرافيين بطبائع الملل ونظام الاجتماع، كنا ألفنا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لجنة في حزب الاتحاد السوري لتضع مشروع قانون أساسي لسورية واخترنا لرياستها اسكندر بك عمون المحامي الشهير لانه أعلم الاعضاء بالحقوق والقوانين فقال أنا لا أقبل رياسة لجنة كهذه وفيها السيد رشيد وهو أعلمنا بالشريعة الاسلامية التي يجب علينا الاستمداد منها في هذا القانون لان أكثر أهالي البلاد من المسلمين

إننا نرى كثيراً من المسلمين ينشرون في بعض الصحف مقالات يقيمون بها الحجة على الحكومة المصرية بمخالفة نصوص الدين الاسلامي القطعية في أحكام وأعمال بعض وزارائها ومصالحها ولا سيما وزارتي المعارف والحقانية وهو الدين الرسمي لها بنص القانون الاساسي - ومن أفظع هذه المخالفة بل الجناية على الامة فيها إباحة الطعن في الاسلام في الجامعة المصرية وإفساد عقائد الناشئة ووجدانها وآدابها النفسية بالالحاد والاباحة فيجب على الحكومة أن تتصل من هذه المطاعن بما ذكرنا ليعلم رجالها وجمهور الامة بما هو دين لا مندوحة عن الايمان به واحترامه وما هو محل نزاع واجتهاد لا يكلفه الامن ثبت عنده

إنني أوافق الذين يعتقدون من رجال الحكومة وغيرهم أنه ليس من الميسور لها أن تدير نظام حكومة مدنية في هذا العصر مع التزام مذهب الحنفية أو الشافعية مثلا ولا سيما المذهب التقليدي الذي يوجبه المقلدون من أهل الازهر وغيرهم من كتبهم . وأقول مع هذا ان الله لم يوجب على فرد ولا حكومة التزام تقليد كتب مذهب من هذه المذاهب بل أبطل ذلك في محكم كتابه ، ومن يدعي وجوب هذا التقليد لتحقيق الاخذ بالاسلام فهو أجنى على الاسلام ممن يرده وينكره ، فقد كان الاسلام على أكمله في الزمن الذي لم يكن فيه من هذه الكتب شيء ، على ان في هذه الكتب شيئا كثيراً نحتاج اليه الامة ، ولكن يكفي في ثبوت الاسلام ما أجمع عليه أهل الصدر الاول من الدين ومنه نصوص الكتاب والسنة القطعية الرواية والدلالة ، وما عداه فهو محل للاجتهاد ، ومن أصول الاسلام فيه مراعاة مصلحة الامة العامة في جميع المعاملات السياسية والقضائية والادارية ، وانه لا يكلف أحد أن يدين الله باتباع أحد من الفقهاء فيه إلا ما صدر به حكم حاكم شرعي فيجب اتباعه اقامة للنظام العام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ المسألة السورية بمصر ﴾

كتبنا في جزء سابق كلمة وجيزة فيما وقع من الخلاف بين أعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وبين رئيسها السابق الذي اقتضى أن تقرر اللجنة إلغاء الرياسة الشخصية الدائمة لها، وذكرنا أن بعض الفضلاء يسعون للصلح بين الاعضاء والرئيس السابق الذي ألف لجنة جديدة تعترف له برياسته الملغاة ليس فيها أحد من أعضاء اللجنة القانونية إلا واحد مستخدم عنده براتب شهري ونذكر الآن بالايجاز أن الساعين بالصلح قد فشلوا وظهر لهم ولغيرهم ان سبب الخلاف الذي شجر هو ما ثبت من أن الرئيس السابق يسعى مع أخويه لاستغلال القضية السورية وثورتها لدى فرنسة بزعمه أنه يمكنه بنفوذ اللجنة إخضاع البلاد كلها لفرنسة بالشروط الذي يتفق هو معها عليها سراً، وينفذها باسم اللجنة جهراً ، وقد صرحت الجرائد الفرنسية حتى الطان منها بان أولاد لطف الله معترفون بالانتداب ويسعون للاتفاق مع فرنسة خلافا لرشيد رضا وأسعد داغر من الأعضاء المتطرفين الذين يسعون للاستقلال العربي، وان لطف الله وجد قوة جديدة ترجح على هؤلاء المتطرفين بمشايعة الدكتور عبد الرحمن شاهبندر له واشتغاله معه في خدمته السياسية الفرنسية

كانت حجة طلاب الصلح علينا ان اتفاق ميشيل وشهبندر يحدث مضار كثيرة في القضية السورية يزيد شرها على قبولنا لرياسة ميشيل للجنة مع حفظ الاكثرية فيها واشتراط جعل الرياسة صورية بسلب الرئيس حق تمثيل اللجنة في الخارج والكلام باسمها الخ ما قالوا انه قد قبله وقبل أن يوضع في النظام الداخلي

وقد حدث بعد العلم بتعذر الاتفاق أن الهيئات السورية في داخل البلاد وخارجها وفي مقدمتها سلطان باشا الاطرش والامير عادل أرسلان وسائر جماعة المرابطين في الصحراء ـ كلها أيدت إلغاء اللجنة للرياسة الذي اقتضى خروج رئيسها السابق من جماعتها وأصبح تأليفه للجنة أخرى عبثاً وسدى ثم ان الحزب الوطني في الارجنتين قد ألغى تمثيل الدكتور شهبندر له في اللجنة كما فعل الحزب الوطني في شيلي والجمعية السورية الوطنية في الولايات المتحدة بالغاء تمثيل توفيق افندي اليازجي فلم يبق للجنة الجديدة وجود يصح أن يستند إلى مؤتمر جنيف، ولا حزب يمكن أن تتوكأ عليه، ولا عصبية في الوطن ولا في المهاجر يمكن أن يتقرب رئيسها إلى فرنسة بها، والمال وحده لا يفعل ذلك ، وقد رأينا منتهى ما عمل فاذا هو ضعف وعجز وخذلان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رأينا وعلمنا ان بعض الجرائد السورية الساقطة تنشر لهم بالاجور الكبيرة مقالات في اطراء أنفسهم بما يهوون من القاب الرياسة والزعامة!! والطعن في خصومهم بالفاظ البذاء والسفاهة حتى لقب الكلاب. وتنزهت الجرائد المصرية المحترمة عن نشر شيء من ذلك لهم وعهد التضليل لا يطول في هذه المسألة فسيعلم من لم يعلم من الشعب السوري من يخدمه ويخدم وطنه ومن يستغلهما ويتجر بهما.

ولكن الذي بدا لنا من حيث لم نحتسب أن يخيب الامير ميشيل وشقيقه آمالنا في آدابهما الشخصية برضاهما من مستخدميهما أن يكتبوا تلك المقالات الخفاء المشتملة على التبجح الدنيء بذكر موائد سراي لطف الله وإهانة ضيوفهم الآكلين عليها - وضيوف القوم أمثالهم أو أكبر - ومن أحقر ذلك وأمسه بكرامتهم زعمهم أن نلانا وفلانا بايعا جورج لطف الله بامارة لبنان عقب غداء ثقيل

ألا يفهم هؤلاء أن هذه مسألة لا تذكر إلا مداعبة ومزحا، أو سخرية واستهزاء؟ لان الامارة في مثل سورية ولبنان لا تكون بمبايعة أحد من أهلها ولا سيما في خارجها وهما تحت سلطة أجنبية فلا يكون الحديث فيها من الجد في شيء

انا عاشرنا ميشيل وجورج بضع سنين لم نر فيها منهما إلا الادب العالي في القول والعمل ولذلك كنا مغتبطين بمعاشرتهما، وقد قال لي الامير ميشيل عقب قرار ١٩ أكتوبر أن اختلافنا في السياسة لا يمنع الصداقة الشخصية بيننا فان مثل هذا معهود بين الاصدقاء في أوربة وغيرها، وقلت له أخيراً عندما اجتمعنا باقتراحه لابحث في مسألة الصلح إنه لا يليق بآدابكم الشخصية استئجار السفهاء البذاء والطعن واستئجار الجرائد لنشرها ثم توزيعها من مكتب لجنتكم ولا تظنوا أن معرته لا تلحقكم فقد قال الشاعر:

ومن يربط الكلب العقور ببابه فكل اذاة الناس من رابط الكلب

فأطرق ولم يعتذر، وقد ذكرت له أني أحتقر الشتامين وجرائدهم فلا أقرأها ولذلك أرد لمكتبه السياسي بشارع عابدين جميع الجرائد التي يرسلها إلى بغلافها وطابع البريد عليها كما هو. ولولا انه كان مما نشروه في منشوراتهم وجرائدهم المأجورة للكذب أننا قبلنا ان يكون من قواعد الصلح اعادة رياسة اللجنة كما كانت وسكتوا عن القيود التي جعلنا الرياسة معها سدى لما نشرت هذه الكلمة هنا وقد كان أخسر الناس بما حصل عاشق الرياسة وعاشق الزعامة اذ خسراها وخسرا ما كان من حسن ظن الامة بهما (والعاقبة للمتقين)